

خطورة التكفير المعين وآثاره في ميزان المقاصد الضرورية الخمسة

1. مقدم في مرحلة الماجستير ضمن مادة أصول البحث

عمل الطالب

تشاندرا أديتيا ابن دادنج الإندونيسي

تحت إشراف

د. رمضان محمد عبد المعطي

2. أهداف البحث

إن الهدف والغرض من هذا البحث المتواضع هو بيان خطورة التكفير عند أهل السنة والجماعة وما يتعلق بها في ميزان مقاصد الشريعة ليعلم به ما يترتب عليه من المفاصد في حياة المجتمع الإسلامي بناء على مراعاة المبادئ الضرورية الخمسة، وذلك: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال، وذلك من خلال عرض أقوال العلماء وأدلتهم ووجه الدلالة من تلك الأدلة ثم مناقشتها.

3. أهمية البحث

فإن البحث في التكفير وخطورته ذو أهمية كبيرة جدا لا يختلف فيها اثنان إلا من شذ، فيمتاز هذا البحث بعرض مسألة التكفير وما يتعلق به وصلته بالمقاصد الضرورية الستة عرضا مبسطا سهلا مع استخدام العبارات البسيطة السهلة الواضحة الدلالة على معنى المراد من غير إطناب ولا إخلال ويمتاز بجمع أقوال العلماء وأدلتهم واستدلالهم والردود على بعض الفرق الضالة المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة والمقاصد الشريعة في هذه القضية وبيان رأي الباحث فيها ووجهة نظره.

4. سبب اختيار البحث

ويرجع سبب الاهتمام بهذا الموضوع إلى عدة أمور: منها وجود الظروف والأوضاع الواقعة في عصرنا هذا وخاصة في بلد الباحث الإندونيسي من قبل بعض الحركات المنتسبة إلى الإسلام والفرق الضالة في تكفير ولاية المسلمين وكل من لم ينتسب إلى فرقته مما يؤدي إلى استباح دمائهم وأموالهم وأعراضهم التي هي من المقاصد الضرورية الخمسة، فيترتب على ذلك كثرة الانفجار التي تضحي الأبرياء وسرقة أموالهم وسفه أعراضهم ولا يريدون من ذلك إلا خيرا ولكن كم من مريد الخير لم يصبه وما هم إلا كما قال الله تعالى في كتابه الكريم: (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون. ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) (البقرة: 11- 12)، فبيان خطورة التكفير وآثاره في ضوء المقاصد الضرورية أمر لا بد منه لا محالة حتى يكون الإنسان على بصيرة من أمرهم لأن التكفير بلا القواعد الصحيحة فإنه إلى الفوضى والمفاسد أقرب منها إلى الإصلاح.

5. منهج البحث

لقد اعتمدت في بحثي على كل من المنهج الاستقرائي والتحليلي وهما كالتالي:
قمت باستقراء ما يتعلق بقضية التكفير وخطورته وآثاره من الكتب التي تتعلق بها، ثم قمت باستقراء كتب الأصول والمقاصد والفقهاء وغيرها لأحقق أن تكفير المعين بلا القواعد الصحيحة يقوم ضد المقاصد الضرورية التي تهتم بها الشريعة الإسلامية السمحة، وتحليل ذلك لبيان المقاصد الشرعية من الجوانب الضرورية.
قمت بتأصيل المفاهيم الأساسية للموضوع، وهي المقاصد الشرعية الضرورية والتكفير وما يتعلق به.

اعتماد المصادر والمراجع الأصلية والثناوية في العزو.

عزو الآيات إلى مواطنها في القرآن بذكر اسم السورة، ورقم الآية.

تخريج الأحاديث النبوية من مراجعها الأصلية والثانوية.

6. الدراسات السابقة

لقد تناول العلماء موضوع التكفير وخاضوا فيما يتعلق بها من مسائل وكثرت أقوالهم. فلقد كتب الشيخ أبو العلا راشد بن أبي العلا الراشد كتابا سماه ضوابط التكفير المعين عند شيخ الإسلام ابن تيمية وابن عبد الوهاب وعلماء الدعوة الإصلاحية، وكتب الشيخ سعيد بن علي بن وهف القحطاني كتابا بعنوان قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال، وكذلك كتب الشيخ عبد الله بن محمد القرني كتابا سماه ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، وكتب سلطان العلماء العز بن عبد السلام كتيب بعنوان الفرق بين

الإيمان و الإسلام

و غيرهم من العلماء الكثير.

7. خطة البحث

أولا : المقدمة وتشمل على : التعريف بالبحث وأهداف البحث وأهمية البحث وسبب

اختيار البحث ومنهج البحث والدراسات السابقة.

ثانيا : التمهيد والفصول والمباحث والمطالب

التمهيد : يتضمن المفاهيم الأساسية لأركان الموضوع : بيان التكفير وما يتعلق به من

القضايا بياننا فقها و مقاصد الشريعة والمقاصد الضرورية الستة

الفصل الأول : خطورة التكفير المعين في الحفاظ على الدين

المبحث الأول : تعريف الدين

المطلب الأول : معنى الدين لغة

المطلب الثاني : معنى الدين اصطلاحا

المبحث الثاني : طريقة المحافظة على الدين

المطلب الأول : طريقة المحافظة على الدين من جانب الوجود

المطلب الثاني : طريقة المحافظة على الدين من جانب العدم

المبحث الثالث : تكفير المعين يؤدي إلى إخراج شخص عن دائرة الإسلام

المطلب الأول: التكفير المعين يفضي إلى عدم قبول الشهادة

المطلب الثاني: التكفير النعين يفضي إلى فقد أهليته للولاية على غيره

المطلب الثالث : التكفير المعين يفضي إلى عدم حل ذكاته

المطلب الرابع: تكفير المعين يفضي إلى عدم السمع والطاعة في المعروف

الفصل الثاني : خطورة تكفير المعين في الحفاظ على النفس

المبحث الأول : تعريف النفس

المطلب الأول : معنى النفس لغة

المطلب الثاني : معنى النفس اصطلاحا

المبحث الثاني : طريقة المحافظة على النفس

المطلب الأول : طريقة المحافظة على النفس من جانب الوجود

المطلب الثاني : طريقة المحافظة على النفس من جانب العدم

المبحث الثالث : تكفير المعين يؤدي إلى استباحة الدماء

الفصل الثالث : خطورة تكفير المعين في الحفاظ على العقل

المبحث الأول : تعريف العقل

المطلب الأول : معنى العقل لغة

المطلب الثاني : معنى العقل اصطلاحا

المبحث الثاني : طريقة المحافظة على العقل

المطلب الأول : طريقة المحافظة على العقل من جانب الوجود

المطلب الثاني : طريقة المحافظة على العقل من جانب العدم

المبحث الثالث : التكفير المعين من المفسد العقلية

المطلب الأول: فكرة التكفير المعين من مفسدات العقل المعنوية

المطلب الثاني: التكفير المعين إنزال الإنسان منزلة البهائم

الفصل الرابع : خطورة تكفير المعين في الحفاظ على النسل

المبحث الأول : تعريف النسل

المطلب الأول : معنى النسل لغة

المبحث الثاني : طريقة المحافظة على النسل

المطلب الأول : طريقة المحافظة على النسل من جانب الوجود

المطلب الثاني : طريقة المحافظة على النسل من جانب العدم

المبحث الثالث: التكفير المعين يفضي إلى إفساد الحياة الزوجية

المطلب الأول: التكفير المعين يفضي إلى تحريم الزواج بامرأة مسلمة وغيرها وبالعكس

المطلب الثاني: التكفير المعين يفضي إلى انفكاك العلاقة الزوجية وتحريم رجوع الزوج إلى

زوجته

الفصل الخامس : خطورة تكفير المعين في الحفاظ على المال

المبحث الأول : تعريف المال

المطلب الأول : معنى المال لغة

المطلب الثاني : معنى المال اصطلاحا

المبحث الثاني : طريقة المحافظة على المال

المطلب الأول : طريقة المحافظة على المال من جانب الوجود

المطلب الثاني : طريقة المحافظة على المال من جانب العدم

المبحث الثالث: التكفير المعين يفضي إلى إفساد الحياة المالية

المطلب الأول: تكفير المعين يفضي إلى استباحة الأموال

المطلب الثاني: التكفير المعين يمنع من التصرف المالي

المطلب الثالث: تكفير المعين يفضي إلى انقطاع التوارث

الفصل السادس: عقوبة قاذف التكفير

ثالثا : الخاتمة وتشمل على ما يلي :

أولا: أهم النتائج

ثانيا: التوصيات

الفهارس :

1. فهرس الآيات القرآنية.
2. فهرس الأحاديث والآثار.
3. فهرس موضوعات البحث.
4. فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد

التكفير

قضية التكفير هي القضية التي اهتم بها علماء أهل السنة والجماعة كثيرا والكلام فيه متداول بينهم سلفا وخلفا فكل هذه دالة على أهميته وخطورته عندهم حيث إنه فاصل من الفواصل التي تفصل بين الفرقة الناجية وغيرها من الفرق الضالة التي تخالفها. الإسلام هو دين الوسطية ولقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)¹، لقد مدح الله هذه الأمة في هذه الآية الكريمة بأنها أمة وسط أي عدل²، ووسطية الإسلام وسط بين شرين، الغلو والتقصير والتفريط والإفراط وكلاهما شر، والمسلم عليه أن يلتزم بهذه الصفة ويدور معها في جميع تصرفاته قولاً وفعلاً فلا غلو ولا تقصير ولا تفريط ولا إفراط بل يسير على هدي النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان هو الوسط بين ذلك كله حيث قيل: "خير الأمور أوسطها" فجمع لنا كل خصال الخير فأمرنا بها وجمع لنا كل خصال الشر ونهانا عنها.

التكفير عمدة الفكر الخارجي الذي يتصور الآن في الفكر الإرهابي، علاقة التكفير بالإرهاب علاقة وثيقة وقوية جدا، وقد ضل أهل الفكر الباطل التكفيريون في باب التكفير ضلالا بعيدا، فأخذوا بظواهر النصوص دون فهم صحيح لها على النحو الذي فهمه السلف الصالح، فخلطوا بين كفر العقيدة وكفر العمل، وقالوا بأن مرتكب الكبيرة أي كبيرة كافر بالله، وخلطوا بين حكم الشرع بتكفير المطلق والتكفير المعين، وبالجملة فإنهم لا يراعون الضوابط الشرعية في التكفير حتى رموا بالكفر كل من خالفهم في الرأي أو لم ينتسبوا إلى فرقته، واستباحوا منهم كل شيء.

¹ البقرة: 143

² . انظر تفسير فتح القدير للشوكاني ص 287 ج 1 ط 2 دار الوفاء المنصورة س 1426 ها- 2005 م

ولما كانت قضية تكفير المسلمين قد أصبحت ظاهرة وقع فيها نفر من الشباب بجهل أو هوى، أضحى لزاما علينا أن نوضح خطورة هذه الظاهرة، وأنها من مظاهر الغلو في الدين والإفراط والتشدد في الحكم على الناس بغير حق.

معنى التكفير

التكفير لغة واصطلاحا

التكفير: تفعيل من الكفر وكفر رجل رجلا أي نسبه إلى الكفر³ والتكفير لغة: ستره وتغطيته⁴.

ولمعرفة معنى التكفير في الاصطلاح الشرعي يلزمنا أن نعرف معنى الكفر أولا لأن حقيقة التكفير تتوقف على معرفة معناه.

فالكفر لغة ستر الشيء، ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص⁵، والزراع أو الفلاح يسمى كفارا لستره البذر في الأرض⁶، قال تعالى: (كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا)⁷.

وأما في اصطلاح الشرع فإن الكفر يطلق على معنيين⁸:

المعنى الأول: كفر عقيدة

المعنى الثاني: كفر عمل

فالكفر في العقيدة هو نقيض الإيمان⁹ وهو ما نسميه بالكفر الأكبر الذي يخرج فاعله عن الملة وموجب للخلود في النار. والكفر في العمل هو ما نسميه بالكفر الأصغر وهو

3 . أنظر مصباح المنير

4 . انظر لسان العرب لابن منظور ص 146 ج 5 دار صادر بيروت بدون الطبع ولا السنة

5 . المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 559 ج 1 مكتبة نزار مصطفى الباز بدون الطبع لا السنة

6 . المصدر السابق ص 561

7 . الحديد: 20

8 . انظر عقيدة أهل السنة والجماعة ل د. سعيد بن مسفر بن مفرح القحطاني ص 25 دار طيبة الخضراء ط 1 س 1422ها-2001 م

9 . لسان العرب ص 144 ج 5

الكفر الذي لا يخرج فاعله عن الملة أو ما نسميه بكفر النعمة أي عدم شكرها كما قال تعالى: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ)¹⁰. وإن كان الكفر في اصطلاح الشرع له معنيان كما قد بينا، إلا أن العرف جرى على استعمال الكفر في العقيدة أكثر.

ذكر في المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: (وأعظم الكفر جحود الوجدانية أو الشريعة أو النبوة والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالا والكفر في الدين أكثر... الخ)¹¹. ويترتب على هذا أن مصطلح التكفير أكثر ما يستعمل في عرف الناس والعلماء في الرمي بالكفر بمعنى الخروج من الملة، لذا لو تصفحنا واستقرينا الكتب المؤلفة في قضية التكفير لوجدنا مؤلفيها حملوا معنى التكفير إلى التكفير في العقيدة المخرج عن الملة الموجيب الخلود في النار، لذا قال الشيخ ابن عبد العز شارحا لقول الإمام الطحاوي "ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله" قال الشيخ: (يشير الشيخ بهذا الكلام إلى الرد على الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب)¹². فالتكفير في المصطلح الشرعي - بناء على ما قد سلف - بأنه: "نسبة أحد من أهل القبلة إلى الكفر".

أنواع التكفير

التكفير عند علماء السنة ينقسم إلى نوعين: تكفير المطلق و تكفير المعين، وهذا ما ذهب إليه جمهور العلماء. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولم يتدبروا أن التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين، وأن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين إلا إذا

¹⁰ . الإنبياء: 94

¹¹ . المفردات ص 559 ج 2

¹² . شرح العقيدة الطحاوية للإمام ابن هبد العز ص 245 دار الغد الجديد ط 1 س 1427-ها- 2006م

وجدت الشروط وانتفت الموانع)¹³. وقد أشار الشيخ إلى هذا في كتابه في موضع آخر فقال: (لكن لعن المطلق لا يستلزم لعن المعين الذي قام له ما يمنع لحوق اللغة له، وكذلك التكفير المطلق والوعيد المطلق).¹⁴ بل التفريق بين التكفير المطلق والتكفير المعين هو أصل من أصول أهل السنة والجماعة.¹⁵

والمراد بالتكفير المطلق هو تنزيل الحكم بالكفر على الفعل والقول دون تنزيل الحكم على المعين¹⁶، كقول أهل العلم: " من سب الله ورسوله كفر... من ترك الصلاة كفر... ومن جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم كفر". فهذا الفعل كفر مخرج من الملة، والتكفير المطلق المخرج من الملة مشروع¹⁷، أما فاعله فلا يكفر حتى تتوفر الشروط، وتنتفي الموانع.

قال الشيخ صالح آل الشيخ في شرحه للكتاب العقيدة الطحاوية: (فأهل السنة والجماعة أصلهم أنهم يكفرون من كفره الله تعالى وكفره رسوله صلى الله عليه وسلم من الطوائف أو من الأفراد. فيكفرون اليهود ويكفرون النصارى ويكفرون المجوس ويكفرون أهل الأوثان من الكفار الأصليين لأن الله شهد بكفرهم..... كذلك نقول بإطلاق القول في تكفير من حكم الله بكفره في القرآن ممن أنكر شيئاً في القرآن)¹⁸، ومن هذا القبيل كتكفير فرعون و أبي لهب مثلاً لتكفير الله تعالى لهما.

13 . مجموع فتاوى للإمام ابن تيمية ص 487-488 ج 12 مجمع المالك فحد لطباعة المصحف الشريف س 1425 ها - 2004 م

14 . المصدر السابق ص 329-330 ج 10

15 . انظر شرح العقيدة الطحاوية للعلامة الشيخ آل الشيخ في كتاب جامع شروح العقيدة الطحاوية ص 747 ج 1 ط 1 دار ابن الجوزي القاهرة س 1427 ها- 2006 م

16 . ضوابط تكفير المعين عند سيخ الإسلام ابن تيمية وابن عبد الوهاب وعلماء الدعوة الإصلاحية لأبي العلا راشد ابن العلا الراشد ص 44 مكتبة الرشد الرياض ط 1 س 1427 ها- 2006 م

17 . انظر شرح العقيدة الطحاوية للشيخ آل الشيخ ص 749

18 . المصدر السابق ص 748

وأما التكفير المعين هو تكفير الشخص الذي وقع في أمر مخرج من الإسلام وهذا لا يكفر حتى تتوفر الشروط وتتفى الموانع¹⁹. والنوع الثاني من التكفير هو موضوع بحثنا إن شاء الله تعالى.

شروط التكفير المعين

كما قد سبق أن بينا أنه لا يجوز لنا أن نكفر من أهل القبلة تكفيرا عينيا إلا بتوفر الشروط وانتفاء الموانع لأن قضية التكفير عظيم، فمن وقع في فتنة التكفير بلا توفر الشروط وانتفاء الموانع فقد وقع في كبير من الكبائر؛ لأنه قد تقول على الله تعالى وحكم بغير برهان ولا حجة من الله تعالى، قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)²⁰.

ولقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم شأن التكفير بغير علم، وتوعد فاعله توعدا شديدا، فقال: (أيما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه)²¹. وقال أيضا: (إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما)²². بناء على هذا فعلى كل مسلم ليس أهلا للإجتهد الاجتناب لمثل هذه القضية، وعلى كل من له حق في الإجتهد أن يعرف شروط التكفير حتى لا يقع في خطأ عندما حكم على شخص معين بالكفر ما استطاع.

معنى الشروط

19 . انظر ضوابط تكفير المعين ص 44

20 . الأعراف: 33

21 . رواه مسلم

22 . رواه البخاري ومسلم

الشروط جمع شرط وهو في اللغة بمعنى العلامة اللازمة²³ والأمانة، قال تعالى: " فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا "24 أي أماراتها²⁵.

وفي الاصطلاح هو الأمر الذي يتوقف عليه وجود الحكم ويلزم من عدمه عدم الحكم ولا يلزم من وجوده وجود الحكم²⁶. بناء على هذا التعريف من الشروط فالمراد من شروط التكفير المعين هي ما لا يتحقق التكفير المعين إلا به أي إذا لم تتوفر هذه الشروط لم يتحقق التكفير لكن لا يلزم من وجود الشروط وجود التكفير لإمكانية وجود مانع التكفير.

وشروط التكفير منها ما يرجع إلى الفاعل ومنها ما يرجع إلى الفعل أو القول المكفر²⁷، ومما يلي بيانها.

أولاً: الشروط التي ترجع إلى الفاعل

والشروط التي ترجع إلى الفاعل هي: أن يكون عاقلاً بالغاً، متعمداً لفعل الكفر، مختاراً له.

1. أن يكون عاقلاً بالغاً، فلا يكفر من فعل الكفر أو قال قول الكفر من الصبي والمجنون لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ عَنِ الْمَجْنُونِ الْمَغْلُوبِ عَلَى عَقْلِهِ حَتَّى يُفِيقَ وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ).²⁸

²³ . الوجيز في أصول الفقه د. عبد الكريم زيدان ص 59 ط 15 مؤسسة الرسالة بيروت س 1427 ها- 2006 م. وانظر أيضاً شرح مختصر الروضة للطوفي ص 430 ج

1 ط 1 مؤسسة الرسالة س 1407 ها- 1987 م

²⁴ . محمد: 18

²⁵ . انظر تفسير ابن كثير ص 226 ج 4 ط 2 مكتبة دار الفيحاء دمشق س 1418 ها- 1998 م

²⁶ . الوجيز في أصول الفقه ص 59 . وانظر أيضاً إتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر ل د. عبد الكريم النملة ص 202 ج 2 ط 1 دار العاصمة س 1417 ها-

1996 م . أصول الفقه لأبي زهرة ص 59 دار الفكر العربي بدون الطبع ولا السنة.

²⁷ . ضوابط تكفير المعين ص 44

²⁸ . رواه أبو داود

2. أن يكون متعمدا لفعل الكفر لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ)²⁹. فلا يكون كافرا من فعل أو قال قول الكفر خطأ.

3. أن يكون مختارا له فلا يكفر من فعل الكفر أو قال قول الكفر مكرها ملجئا للحديث السابق ولقول الله تعالى: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)³⁰.

ثانيا: الشروط التي ترجع إلى الفعل أو القول المكفر

وأما الشروط التي ترجع إلى القول المكفر هي:

1. أن يكون فعله أو قوله ثبت بالأدلة الشرعية أنه كفر أكبر أو شرك أكبر.
2. وأن يكون هذا الفعل المكفر مما ذكر أهل العلم أنه فعل أو قول مكفر محرج من الملة.
3. وأن يكون الفعل أو القول صريح الدلالة على الكفر ولا يحتمل الاحتمالات، كقول رجل: " يا سيدي فلان عافني وارزقني "، أو إلقاء المصحف تعمدًا في القذورات مع علمه بأنه كتاب الله.³¹ والدليل على ذلك هو الحديث المروي عن عبادة ابن الصامت أنه قال: (دعانا النبي صلى الله عليه و سلم فبايعناه فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان)³²، وقول رسول الله " إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله برهان " يقتضي أموراً:

²⁹ . رواه ابن ماجه و ابن حبان والبيهقي

³⁰ . النجل: 106

³¹ . ضوابط تكفير المعين ص 44-45

³² . رواه البخاري

1. ثبوت ذلك المكفر وظهوره، والعلم به، وأنه لا يكفي مجرد الظن والإشاعة والاحتمال ولذلك قال: (إلا أن تروا)

2. ثبوت ذلك وظهوره لجماعة أهل الحل والعقد لقوله خطابا لهم : (أن تروا)

3. أن يكون ذلك الأمر مكفرا فلا يكفي الفسوق مهما كبر، كالظلم، وشرب الخمر، ولعب الميسر، والزنا، والقمار، ولذلك قال: (كفرا)

4. أن يكون ذلك الأمر كفرا صريحا ظاهرا، ولذا قال: (بواحا)

5. أن يكون الدليل عليه صحيح الثبوت صريح الدلالة، فلا يكفي الدليل ضعيف السند، ولا غامض الدلالة، ولذا قال: (عندكم فيه برهان)

6. أن يكون ذلك البرهان مأخوذا عن الله تعالى في كتابه أو ثبت في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولذا قال : (من الله)، فلا عبرة بقول أحد في ذلك مهما كان إذا لم يكن لقوله دليل صريح من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.³³

ثالثا: ثبوت الكفر أو الردة ثبوتا شرعيا إما بطريق الإقرار أو الشهادة

وتوضيحا لهذا الشرط الثالث نبين معنى الإقرار والشهادة وما يتعلق بهما اختصارا.

1. الإقرار

والمراد بالإقرار لغة هو الإيقان والاعتراف، يقال أقر بالحق إذا اعترف به.³⁴

و الإقرار في الاصطلاح هو الإخبار عن ثبوت حق للغير على المخبر، وهذا تعريف

الجمهور. ويقال أيضا بأنه إخبار عما قر وثبت وتقدم³⁵. و الإقرار حجة ثبتت به

الأحكام بدليل الكتاب والسنة والإجماع والمعقول لا يسع ذكرها هنا.

شروط الإقرار

³³ . مقررات دورة التأهيلية ومعلم العلوم الشرعية والعربية لأوقاف الراجحي ص 32

³⁴ . معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ل د. محمد عبد الرحمن عبد المنعم ص 264 ج 1 دار الفضيلة بدون الطبع ولا السنة

³⁵ .المصدر السابق ص 264

اشترط الفقهاء في كون الإقرار حجة تثبت به الأحكام-ومنها التكفير- الشروط الآتية³⁶:

1. أن يكون المقر بالغاً عاقلاً، فلا يقبل إقرار الصبي والمجنون في الكفر.
2. أن يكون المقر مختاراً، فلا يقبل إقرار المكره، فمن أقر أنه قد كفر مكرهاً فلا يقبل إقراره.

3. ألا يكون المقر متهماً في إقراره لأن الإقرار بمثابة الشهادة، لقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ)³⁷

4. أن يكون الإقرار مفصلاً لا مجملاً لاحتمال أن يكون ما وقع ليس كفراً ولا ردة.
2. الشهادة

والمراد بالشهادة لغة الإعلام والحضور والعلم، وقال الجوهرى: (الشهادة خبر قاطع)³⁸ وفي الإصطلاح قال المناوي: (إخبار عن عيان بلفظ أشهد في مجلس القاضي بحق لغيره على غيره)³⁹.

الشهادة حجة بالكتاب والسنة والإجماع والمعقول ولها شروط، وهذه الشروط منها ما يرجع إلى أدائها، ومنها ما يرجع إلى المشهود به، ومنها ما يرجع إلى الشهود: أولاً: الشرط الذي يرجع إلى أدائها

³⁶ . اقرأ شرح المتع على زاد المستقنع باب الإقرار للشيخ ابن العنمين ص 483-485 ج 15 ط 1 دار ابن الجوزي س 1422 ها. وانظر أيضا فقه السنة لسيد سابق باب الإقرار ص 229 ج 4 ط 2 دار الفتح للإعلام العربي س 1419 ها- 1999 م. وانظر الفقه المقارن 2 جامعة المدينة العالمية ص 148-155 .

³⁷ . النساء: 135

³⁸ . معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ص 344 ج 2

³⁹ . المصدر السابق ص 345 ج 2. وانظر أيضا التعريفات ص 111

1. أن يكون أداء الشهادة بلفظ " أشهد " عملاً بقول الله تعالى: (وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ)⁴⁰ هذا في قول، وفي قول آخر إنه لا يلزم ذلك بل يكفي في ذلك قوله: رأيت، أو سمعت ونحو ذلك وهذا هو الراجح⁴¹، والله أعلم.
2. أن تكون الشهادة مفيدة لمعنى العلم واليقين، لا لمعنى الظن والتخمين لقول الله تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)⁴²، فالشاهد لا بد أن يكون على يقين بأن المشهود عليه قد كفر.

ثانياً: الشروط التي ترجع إلى المشهود به

1. أن تكون الشهادة به مفصلة، فلا يكفي بقول الشاهد فيها: إنه كفر، لاحتمال أن يفعل المكفر خطأ لا عمداً، أو لاحتمال أن يكون ما وقع ليس كفراً ولا ردة.⁴³
2. أن تكون الشهادة متحدة، بمعنى أن يتفق الشهود على المشهود به، فلو اختلفت شهادتهما بأن شهد أحدهما أنه في وقت كذا ومكان كذا قد سجد لبقر مثلاً، وشهد آخر في نفس الوقت والمكان أنه قد سجد لصنم فلا تقبل شهادتهما لعدم اكتمال البينة، ولأن أحدهما كاذب بيقين، والكاذب ليس عدلاً فلا تقبل شهادته لاشتراط العدالة في قبول الشهادة.

ثالثاً: الشروط التي ترجع إلى الشهود وهي:

1. الإسلام، فلا تجوز شهادة الكافر على المسلم لأن الكافر ليس عدلاً ومن شروط الشهادة العدالة.

⁴⁰ . الطلاق: 2

⁴¹ . شرح الممتع على زاد المستنقع كتاب الشهادات ص 389 ج 15

⁴² . الإسراء: 36

⁴³ . ضوابط تكفير المعين ص 47-48

2. العدالة، لقول الله تعالى: (وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ) والعدل هو المستقيم في الدين الذي لم تظهر منه ريبة، ذو المروءة، المؤدي للواجبات والمستحبات، المجتنب للمحرمات والمكروهات، فلا يقبل شهادة الفاسق.
3. الكلام، فلا تقبل شهادة الأخرس ولو كان يعبر بالإشارة، لكن لو أدى الشهادة بخطه كتابة قبلت، لدلالة الخط على الألفاظ.
4. الذكورة، سيأتي البيان إن شاء الله.
5. العقل والبلوغ، فلا تقبل شهادة الصبي لأنه غير كامل العقل فهو ناقص الأهلية، والمجنون، والمعتوه والسكران، لأن شهادتهم لا تفيد اليقين.
6. أن يكون قادرين على حفظ الشهادة، فلا تقبل شهادة من عرف بسوء الحفظ وشهادة المغفل والمعروف بكثرة الخطأ والسهو، لعدم حصول الثقة بقوله⁴⁴.

نصاب الشهادة في التكفير

عدد الشهود يختلف باختلاف المشهود به، والشهادة إما أن تكون في الحقوق المالية، أو البدنية، أو الحدود والقصاص، ولكل حالة من هذه الحالات عدد من الشهداء لا بد منه حتى تثبت الدعوى.

فالزنا لا يقبل فيه أقل من أربعة شهود من الرجال لقوله تعالى: (لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ)⁴⁵. أما بقية الحدود كالسرقة وكذلك ما ليس بمال ولا يقصد به المال وكان مما

44 . انظر الوجيز في فقه الإمام الشافعي للإمام الغزالي كتاب الشهادات ص 248-250 ج 2 ط 1 شركة دار الأرقام ابن أبي الأرقام س 1418 ها- 1997 م. وانظر الحاوي الكبير للماوردي ص 148-161 ج 17 باب من تجوز شهادته ومن لا تجوز ط 1 دار الكتب العلمية بيروت س 1414 ها- 1994 م. وانظر الفروع لشمس الدين محمد بن مفلح المقدسي ص 329-368 ج 11 باب شروط من تقبل شهادته وما يمنع قبولها ط 1 مؤسسة الرسالة بيروت س 1424 ها- 2003 م. وانظر فقه السنة ص 233-238 ج 4 كتاب الشهادة. وانظر الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة لنبخبة من العلماء ص 407 باب الشهادات دار أعلام السنة رياض ط 1 بدون السنة.

45 . النور: 13

يطلع عليه الرجال في الغالب فيقبل فيها شاهدان من الرجال ولا تقبل فيه شهادة النساء، لقوله تعالى في الرجعة: (وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ).
أما المال وما يقصد به المال كالبيع والإجارة فيقبل فيه الرجلين أو الرجل والمرأتين لقوله تعالى: (وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ).⁴⁶

أما ما لا يطلع عليه الرجال في الغالب كعيوب النساء والبكارة وغير ذلك فتقبل فيه شهادة النساء منفردات.

بناء على هذا عرفنا أن الشهادة في إثبات التكفير هي شهادة رجلين عدلين وهذا ما ذهب إليه جمهور العلماء⁴⁷، فلا تقبل شهادة النساء في إثبات الكفر على أحد. ولذلك قال ابن قدامة المقدسي في كتاب المغني: (وتقبل الشهادة على الردة من عدلين في قول أكثر أهل العلم، وبه يقول مالك، والأوزاعي، والشافعي، وأصحاب الرأي)⁴⁸. وقال ابن المنذر: (وأجمع أهل العلم على أن شهادة شاهدين يجب قبولها على الارتداد ويقتل المرتد على شهادتهما إن لم يرجع على الإسلام)⁴⁹
فهذه هي الشروط في التكفير المعين التي لا بد من توفرها عند إثبات الكفر على شخص معين، فإذا فقد شرط أو أكثر فلا يصح.

موانع التكفير

بعد أن تكلمنا عن شروط التكفير لزاما علينا الكلام عن موانع التكفير حيث إن شخصا بالغا عاقلا قد تكلم بكلام الكفر أو فعل فعل الكفر ولكنه لا يكفر لوجود مانع أو

⁴⁶ . البقرة: 282

⁴⁷ . انظر فقه السنة باب نصاب الشهادة ص 238 - 242 ج 4 . وانظر أيضا الوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز ل د . عبد العظيم بدوي باب نصاب الشهادة ص

476 - 477 دار بن رجب المنصورة ط 2 س 1421 ها- 2001 م . وانظر أيضا الفقه الميسر باب الشهادة ص 410 . وانظر ضوابط تكفير المعين ص 47.

⁴⁸ . المغني لابن قدامة المقدسي كتاب المرتد ص 287 ج 12 دار عالم الكتب دون الطبع ولا السنة

⁴⁹ . الإجماع لابن المنذر كتاب المرتد ص 175 دار عالم الكتب ط 2 س 1424 ها- 2003 م

موانع تمنع عن التكفير، فالكلام عنها أمر لا بد منه لا محالة حتى سلم المجتهد من زلة في الحكم على شخص معين بالكفر.

معنى الموانع

الموانع جمع مانع وهو في اللغة ضد العطية وهو بمعنى الصد، كما قال تعالى في سورة الأعراف: (قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ).⁵⁰

وأما في الاصطلاح هو ما رتب الشارع على وجوده عدم وجود الحكم أو عدم السبب أي بطلانه، وهو نوعان: مانع للحكم، ومانع للسبب.⁵¹

الأول: مانع الحكم: وهو ما يترتب على وجوده عدم وجود الحكم بالرغم من وجود سببه المستوفى لشروطه.⁵² فعلى سبيل المثال أن الأبوة مانعة من القصاص، فالأب لا يقتل قصاصا إذا قتل ابنه عمدا وعدوانا.

وفي قضيتنا يعني التكفير قد يقول أحد بالغ عاقل قول الكفر ولكن لا يترتب عليه حكم الكفر لوجود مانع وهو الإكراه مثلا أو حديث عهد بالإسلام أو غير ذلك.

الثاني: مانع السبب: وهو الذي يؤثر في السبب بحيث يبطل عمله ويحول دون اقتضائه للمسبب.⁵³ فالمثال في قضية التكفير قد يفعل المجنون فعل المكفر ولكنه لا يكفر لبطلان فعله كما لا تصح صلاة المجنون لعدم القصد.

ومن أهل العلم من قسم موانع التكفير إلى ثلاثة أقسام:

50 . الأعراف : 12

51 . الوجيز في أصول الفقه مبحث الحكم الوضعي ص 63 . وانظر الإحكام للآمدي ج 1 ص 171 دار الصميعي ط 1 س 1424 ها- 2003 م .

52 . الوجيز في أصول الفقه ص 63 .

53 . المصدر السابق ص 63 .

أ. موانع الفاعل: وهي ما يعرض له بما يجعله غير مؤاخذ بأفعال وأقوال شرعا، وهي ما تسمى بعوارض الأهلية، مثل: الجهل، والخطأ، والتأويل، والإكراه. والأهلية عند الأصوليين تنقسم إلى قسمين:

1. أهلية الأداء: وتعني صلاحية الفرد لأن تعتبر أقواله وأفعاله شرعا، والعقل والبلوغ والاختيار من شروط صحة الأهلية.

2. أهلية الوجوب: تعني صلاحية الفرد لأن تكون له حقوق وعليه واجبات. وعوارض الأهلية متعلقة بأهلية الأداء، وهي أمور تعرض للمكلف فتجعل أقواله وأفعاله غير معتبرة شرعا.

ب. موانع في الفعل المكفر: لكون الفعل غير صريح في الكفر أو الدليل الشرعي غير قطعي الدلالة.

ج. موانع في الثبوت: تمنع من ثبوت الفعل المكفر على المعين لكون أحد الشهود ليس عدلا غير مقبول الشهادة أو صغيرا لا يعتد بشهادته.⁵⁴
بناء على ما قد سبق فالتكفير له موانع لا بد من فهمها وهي:

1. الجهل

الجهل من العوارض المكتسبة⁵⁵، وهو عدم العلم، وقيل في المفردات إنه على ثلاثة أضرب:

1. خلو النفس من العلم وهذا هو الأصل وهذا ما يسميه الأصوليون بالجهل البسيط

2. اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه وهذا ما يسميه الأصوليون بالجهل المركب

54 . ضوابط تكفير المعين ص 48

55 . انظر شرح التلويح على التوضيح للفتناني باب العوارض المكتسبة ج 2 ص 377 دار الكتب العلمية ط 1 بدون السنة.

3. فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً كمن يترك الصلاة متعمداً⁵⁶.

فمن هذا التقسيم رأينا أن الجهل ليس واحداً بل يتنوع، ولذلك، العذر بالجهل له حالات لأنه يختلف باختلاف الأزمنة، والأمكنة، والأشخاص يختلفون: فمنهم من قامت عليه الحجة، ومنهم من لم تقم عليه، باعتباره مثلاً حديث عهد بالإسلام أو نشأ في بادية بعيدة، وكذلك الجهل يختلف إن كان جهلاً بما هو معلوم من الدين بالضرورة أو ما دون ذلك.⁵⁷

لقد فرق الدكتور عبد الكريم زيدان بين الجهل في دار الإسلام وبين الجهل في دار الحرب وقال: "إن الجهل لا يعد عذراً في دار الإسلام، لأن العلم مفروض على من فيها، فلا يعذر المسلم بجهله الأحكام العامة الواضحة التي لا رخصة لأحد في جهلها، وهي الثابتة بالكتاب والسنة المتواترة أو المشهورة أو التي انعقد عليها الإجماع: كوجوب الصلاة والصيام، وكتحريم الخمر والزنا.... أن العلم فيها (أي دار الحرب) لا يفترض إذ هي ليست دار علم بالأحكام الشرعية، بل دار جهل بها، وعلى هذا إذا أسلم شخص هناك ولم يعلم حقيقة وجوب العبادات عليه: كالصلاة ونحوها ولم يؤدها فإنها لم تلزمه قضاء إذا علمها".⁵⁸

الجهل في الحقيقة لا ينافي الأهلية، وإنما قد يكون عذراً في بعض أحوال⁵⁹. فالجهل الذي يعتبر عذراً ومانعاً للحقوق التكفير هو الجهل المعجز أي الجهل الذي لا يمكن دفعه كرجل حديث عهد بالإسلام أو رجل أصم أو أحمق أو هرم أو مات قي زمن فترة كما ذكر في

56 . المفردات ص 132-133 .

57 . انظر قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال لسعيد ابن علي ابن وهف القحطاني ط 2 س 1417 ها-1997 م ص 54 .

58 . الوجيز في أصول الفقه ص 112 .

59 . المصدر السابق ص 112 .

الحديث الذي روي عن الأَسْوَدِ بْنِ سَرِيحٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: (أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَصَمٌّ لَا يَسْمَعُ شَيْئاً وَرَجُلٌ أَحْمَقٌ وَرَجُلٌ هَرَمٌ وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فِتْرَةٍ فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ بِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئاً وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ بِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالصَّبِيَّانُ يَخْدِفُونِي بِالْبَعْرِ وَأَمَّا الْهَرَمُ فَيَقُولُ رَبِّي لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئاً وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفِتْرَةِ فَيَقُولُ بِّ مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ. فَيَأْخُذُ مَوَاقِفَهُمْ لِيُطِيعَنَّهُ فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ - قَالَ - فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْداً وَسَلَاماً).⁶⁰

والمقصود أن العذر بالجهل يحتاج إلى تفصيل وعناية ليس هذا مقامها.

2. الخطأ

الخطأ يطلق ويراد به ما يقابل الصواب، ويطلق ويراد به ما يقابل العمد⁶¹، قال الأصفحاني: (الخطأ العدول عن الجهة وذلك أضرب: أحدها: أن يريد غير ما تحسن إرادته فيفعله وهذا هو الخطأ التام المأخوذ به الإنسان، يقال: خطيء يخطأ وخطأة، قال تعالى: (إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا).⁶² والثاني: أن يريد ما يحسن فعله ولكن يقع منه خلاف ما يريد فيقال: أخطأ يخطيء إخطاء فهو مخطيء، وهذا قد أصاب في الإرادة وأخطأ في الفعل، وهذا المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان)⁶³ وبقوله صلى الله عليه وسلم: (من اجتهد فأخطأ فله أجر)،⁶⁴ والثالث: أن

⁶⁰ . رواه أحمد

⁶¹ . الوجيز في أصول الفقه ص 115 .

⁶² . الإسراء: 31

⁶³ . رواه الطبراني

⁶⁴ . رواه البيهقي

يريد ما لا يحسن فعله ويتفق من خلافه، فهذا مخطئ في الإرادة ومصيب في الفعل فهو مذموم في قصده وغير محمود على فعله).⁶⁵

فتبين من ذلك التقسيم أن الخطأ المانع للتكفير هو الخطأ في معناه الثاني وهو المراد من قوله تعالى: (وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ)⁶⁶، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه).⁶⁷

وهذا المعنى هو الذي قصده الفقهاء والأصوليون في كتبهم لما بينوا الخطأ الذي يكون عذرا شرعيا يسقط به التكليف، فقيل في الكتاب التلويح للإمام التفتزاني الشافعي: (الخطأ هو أن يفعل فعلا من غير أن يقصده قصدا تاما).⁶⁸

ولقد عرف الدكتور عبد الكريم زيدان بأن الخطأ: (هو وقوع الفعل أو القول من الإنسان على خلاف ما يريده).⁶⁹

فبالجملة، الخطأ مانع من موانع التكفير لأن الله يقول: (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا)⁷⁰. ولذلك قال القاضي صدر الشريعة عبيد الله ابن مسعود المحبوبي البخاري الحنفي في كتابه التنقيح: (الخطأ وهو يصلح عذرا في سقوط حق الله تعالى إذا حصل عن اجتهاد، ويصلح شبهة في العقوبة حتى لا يأثم إثم القتل ولا يؤخذ بحد ولا قصاص لأنه جزاء كامل فلا يجب على المعذور).⁷¹

3. التأويل

65 . المفردات ص 201

66 . الإحزاب: 5

67 . رواه ابن ماجه

68 . شرح التلويح على التوضيح باب حكم الخطأ ج 2 ص 411 .

69 . الوجيز في أصول الفقه ص 115

70 . البقرة: 286 .

71 . شرح التلويح على التوضيح ص 411 .

التأويل لغة

التأويل لغة يؤخذ من الأول أي الرجوع إلى الأصل، ومنه المائل للموضع الذي يرجع إليه وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه علما كان أو فعلا".⁷² والناظر في القرآن يجد أن لفظ التأويل ورد فيه كثيرا بمعاناه المختلفة، ومن معاني التأويل في القرآن هي:

1. التفسير والتعيين وذلك في قوله تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ)⁷³.
2. العاقبة والمصير وذلك في قوله تعالى: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)⁷⁴.
3. وقوع المخبر به وذلك في قوله تعالى: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ)⁷⁵، وقوله تعالى: (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ)⁷⁶.
4. نفس مدلول الرؤيا كقوله تعالى: (وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ)⁷⁷.

التأويل في الاصطلاح

والتأويل في الاصطلاح له اتجاهان: التأويل عند السلف، والتأويل عند المتأخرين من المتفكحة، والمتكلمة، والمحدثه، والمتصوفة.

1. التأويل عند السلف وله معنيان:

72. المفردات ص 39

73. آل عمران: 7

74. النساء: 59

75. الإعراف: 53

76. يونس: 39

77. يوسف: 44

أحدهما: تفسير الكلام وبيان معناه، سواء أ وافق ظاهره أو خالفه، فالتأويل في هذا المعنى مرادف للتفسير وهذا ما يعنيه الإمام ابن جرير الطبري بقوله في تفسيره (القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا).

الثاني: هو نفس المراد بالكلام، فإن كان الكلام طلبا كان التأويل نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبرا كان نفس الشيء المخبر به، فإذا قيل: طلعت الشمس، فتأويل هذا هو نفس طلوعها.

2. التأويل عند المتأخرين من المتفهمة والمتكلمين والمحدثه والمتصوفين

التأويل عند هؤلاء جميعا: هو صرف اللفظ عن معنى الراجح إلى معنى المرجوح، وهذا التأويل هو الذي يتكلم عنه في علم أصول الفقه.⁷⁸

أقسام التأويل

كما قد سبق أن بينا أن التأويل في معناه الاصطلاحي له اتجاهان: التأويل عند علماء السلف و التأويل عند المتأخرين، ومن هذين الاتجاهين فالتأويل عند المتأخرين هو التأويل الذي له العلاقة بموانع التكفير، ولفهم هذا النوع من التأويل لزاما علينا معرفة الأقسام من هذا التأويل حتى يتبين لنا نوعية التأويل الذي يكون مانعا من موانع التكفير.

لقد قسم أهل العلم التأويل عند المتأخرين إلى قسمين:

1. التأويل السائغ

2. التأويل غير السائغ

فالتأويل السائغ هو ما يسمى بالتأويل المقبول أو الممدوح عند بعض أهل العلم، ولا يكون التأويل سائغا إلا عند توفر شروطه، وتلك الشروط هي:

⁷⁸ . التفسير والمفسرون ل د. محمد حسين الذهبي ص 14-15 ج 1 مكتبة وهبة بدون الطبع ولا السنة.

1. أن يكون موافقا لوضع اللغة، أو عرف الاستعمال، أو عادة صاحب الشرع، وكل التأويل خرج عن هذا فليس بصحيح.

2. أن يقوم الدليل على أن المراد بذلك اللفظ هو المعنى الذي حمل عليه إذا كان لا يستعمل كثيرا فيه.

3. إذا كان التأويل بالقياس فلا بد أن يكون جليا لا خفيا⁷⁹.

وأما التأويل غير السائغ وهو التأويل المردود فهو التأويل الذي لا يتوفر فيه هذه الشروط الثلاثة.

فإذا عرفنا هذا يتبين لنا أن التأويل الذي يكون مانعا من موانع التكفير إنما هو التأويل عند المتأخرين سواء كان سائغا أو غير سائغ بأن يرتكب المسلم أمرا كفريا معتقدا مشروعيته و إباحته له، لديه يرى صحته، أو لأمر يراه له عذرا له في ذلك، وهو مخطيء في ذلك كله. فإذا اعتقد المسلم أو فعل، أو قال منكرا من الملة، أو كان عنده شبهة التأويل في ذلك- وهو ممن يمكن وجود هذه الشبهة لديه، وكانت في المسألة يحتمل التأويل فيها- فإنه يعذر بذلك.

4. الإكراه

الإكراه من عوارض المكتسبة، لا من فعل الإنسان نفسه، ولكن من فعل الغير به⁸⁰، وهو من الإعذار الشرعية التي تسقط بها المؤاخذة في الدنيا والآخرة.

قال صاحب التلويح في تعريف الإكراه: الإكراه: حمل الغير على أن يفعل ما لا يرضاه ولا يختار مباشرته لو خلى ونفسه.⁸¹ وعرفه البزدوي: بأنه حمل الغير على أمر يمتنع عنه

79 . إرشاد الفحول للشوكاني ج 2 ص 759 دار الفضيلة ط 1 س 1421 ها- 2000 م.

80 . الوجيز في أصول الفقه ص 134 ، وانظر شرح التلويح على التوضيح للفتناني ص 414 ج 2 دار الكتب العلمية ط 1 بدون السنة

81 . شرح التلويح على التوضيح ص 414 ج 2

بتخويف يقدر الحامل على إيقاعه، ويصير الغير خائفا به⁸². فهذا التعريف أوضح من التعريف الأول لانه يتضمن الأمور الواجب توفرها لتحقيق الإكراه، و بذلك التعريف يتبين لنا أن الإكراه يشمل قولاً وفعلاً، ولا يتحقق إلا بوجود أمرين: حمل الغير وقهره على فعل ما، وانعدام رضا الفاعل. فبناء على هذا قد وضع أهل العلم شروطاً للإكراه حتى يكون معتبراً كالعذر الشرعي.

شروط الإكراه

هناك شروط حددها أهل العلم لتحقيق الإكراه، وهذه الشروط هي:

1. أن يكون المكروه (الحامل) متمكناً من إيقاع ما هدد به، فإن لم يكن متمكناً من إيقاع ما هدد به، وكان المكروه (فاعل) عالماً بعدم قدرته كان تهديده لهوا لا عبرة به.
2. أن يكون المكروه (الفاعل) خائفاً من هذا التهديد، بأن يقع في نفسه أن الحامل سيوقع ما هدد به عاجلاً يقيناً أو على غلبة الظن، وأن يفعل ما أكره عليه تحت تأثير هذا الخوف.

3. أن يكون المكروه به أي ما هدد به ضرراً يلحق النفس بإتلافها، أو بإتلاف عضو منها.⁸³

أنواع الإكراه

لمعرفة نوع الإكراه الذي يكون مانعاً من موانع التكفير لزاماً علينا معرفة أنواع الإكراه حتى نعلم ما هو الإكراه الذي يكون عذراً شرعياً الذي لا يلحق به التكفير على شخص، وما هو الإكراه الذي لا يكون عذراً شرعياً.

قسم الأصوليون الإكراه إلى نوعين:

⁸² . انظر معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ص 273 ج1

⁸³ . الوجيز في أصول الفقه ص 135

1. إكراه ملجئ أو إكراه كامل

2. إكراه غير ملجئ أو أكره ناقص

الأكراه الملجئ

الإكراه الملجئ هو الذي يكون بإتلاف النفس، أو بعضو منها ولا يبقى معه قدرة ولا اختيار كإلقاء شخص من ساهق على شخص ليقتله، فالشخص الملقى لا قدرة له على الوقوع لا فعلا ولا تركا، ومن هذا القبيل: التهديد بإتلاف جميع المال. ويسمى هذا الإكراه إكراها ملجئا لأن المكره (الفاعل) مضطر إلى مباشرة الفعل خوفا من فوات النفس أو العضو، وحكم هذا الإكراه أنه يمنع التكليف بالفعل الملجأ إليه⁸⁴.

الإكراه غير ملجئ

والإكراه غير ملجئ هو الإكراه الذي لا ينتهي إلى حد الإلجاء وهو يكون بما لا يفوت النفس أو عضوا منها كالضرب اليسير الذي لا يخاف منه التلف أو الحبس أو التقييد بالقيود أو إتلاف بعض المال، كما لو قيل لشخص: إن لم تفعل حبستك. وحكم هذا النوع من الإكراه أنه يعدم الرضا ولا يفسد الاختيار إذ إن الفاعل يمكنه الصبر على ما هدد به عادة⁸⁵.

بعد أن تكلمنا عن الإكراه بشيء من التفصيل تبين لنا أن الإكراه الذي يكون مانعا من موانع التكفير هو الإكراه الملجئ لأنه ما يعتبر عذرا شرعيا وذلك لقول الله تعالى: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)⁸⁶ وسبب النزول لهذه الآية - كما قال ابن عباس - : (نزلت في عمار ابن ياسر وذلك أن المشركين أخذوه وأباه ياسرا وأمه سمية

⁸⁴ . الوجيز في أصول الفقه ص 136 و شرح التلويح ص 414 ج 2

⁸⁵ . الوجيز في أصول الفقه ص 137 و شرح التلويح ص 414 ج 2

⁸⁶ . النحل: 106

وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما، فأما سمية فإنها ربطت بين بعيرين ووجيء قبلها بحربة وقيل لها: إنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين قتلا في الإسلام.

وأما عمار فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن عمارا كفر، فقال: ((كلا إن عمارا مليء إيمانا من قرنه إلى قدمه والاختلط الإيمان بلحمه ودمه))، فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي فجعل رسول الله عليه الصلاة والسلام يمسح عينيه وقال: ((إن عادوا لك فعد لهم بما قلت))، فأنزل الله تعالى هذه الآية).⁸⁷ وفي رواية قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كيف تجد قلبك)؟ قال: (مطمئنا بالإيمان)، فقال: (إن عادوا فعد).⁸⁸

ولذلك قال القرطبي: (أجمع أهل العلم على أن من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل أنه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا تبين منه زوجته، ولا يحكم عليه بحكم الكفر).⁸⁹

5. كون الفعل غير صريح في الكفر أو الدليل الشرعي غير قطعي الدلالة والمراد بالصریح أي الخالص من كل شيء، والفعل الصريح في الكفر هو الفعل الذي لا يحتمل إلا كفرا.

والدليل قطعي الدلالة هو الدليل الذي لا يحتمل إلا معنا واحدا أي ما يسمى أيضا بالنص، فإذا كان الدليل غير قطعي الدلالة أو ظني الدلالة بحيث إنه يحتمل معان فلا يصح أن يستدل به لإثبات التكفير على معين.

⁸⁷ . أسباب النزول لعلي بن أحمد النيسابوري ص 176-177 دار التقوى بدون الطبع ولا السنة

⁸⁸ . فتح القدير ص 274 ج 3

⁸⁹ . المصدر السابق ص 272 ج 3

والمثال لذلك في الحكم بغير ما أنزل الله، قد استعجل المفتونون بتكفير من لم يحكم بما أنزل الله على التعيين مستدلين بقول الله تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)⁹⁰، فإنهم قد أخطأوا، لأن الحكم بغير ما أنزل الله ليس فيه دلالة على صريح الكفر لاحتمال أن يفعله جهلا بشرع الله تعالى أو خوفا أو عجزا أو ما أشبه ذلك، وأيضا فإن الآية المذكورة ليست قطعا تدل على أن من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر بمعنى الكفر المخرج من الملة لاحتمال معنى الكفر حيث إن بعض العلماء يقولون بأن المراد بالكفر في الآية هو كفر دون كفر⁹¹، ولذلك قال الشيخ ابن العثيمين: (الذي فهم من كلام الشيخين : أن الكفر لمن استحل ذلك، وأما من حكم على أنه معصية ومخالفة، فهذا ليس بكافر، لأنه لم يستحله لكونه قد يكون خوفا أو عجزا أو ما أشبه ذلك).⁹²

6. كون الشهادة غير مقبولة شرعا

بكون الشهود ليس عدلا مثلا أو صغيرا لا يعتد بشهادته أو غير ذلك كما قد سبق بيانه في شروط التكفير.

المقاصد الضرورية الخمسة

بعد أن تكلمنا عن التكفير اختصارا نأتي الآن إلى بيان مقاصد الضرورية الخمسة حتى نكون على بصيرة في مفهومها، ونعلم أن شريعة الإسلام تأتي رحمة للعالمين، فبذلك نعرف أن التكفير المعين بلا الضوابط والقواعد المعتبرة يخالف هذه المقاصد السامية التي

⁹⁰ . المائدة : 44

⁹¹ . انظر تفسير ابن كثير ص 75-76 ج 6

⁹² . ضوابط التكفير المعين ل د. عبد الله ابن عبد العزيز الجبرين ص 43 ط 2 س 1425ها

جاء بها الإسلام، بل أنه يهدمها هدمًا، وأنه إلى نشر الفساد أقرب منه إلى الإصلاح، فليحذر كل مسلم ليس له حق في هذه القضية أن يتجرى عليه.

جاءت الشريعة الإسلامية رحمة للناس، ولذلك قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)⁹³، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ)⁹⁴، فبهذه النصص الشرعية تبينت المقاصد التي من أجلها أنزلت الشريعة، وبها تمسك المسلمون للوصول إلى سعادتهم، فلا يليق لهم أن يتصرف بالتصرفات ينتج منها ما يخالف هذه المقاصد السامية الرافعة من الفساد والضرر.

فمما يفهم من مقاصد الشريعة الإسلامية حفظ نظام الأمة وصلاح الإنسان وما بين يديه من الموجودات، فالمصالح في التشريع مطلقة عامة لا تختص بباب دون باب ولا بمحل دون محل ولكنها مطردة في كلية الشريعة وجزئيتها بدليل أن الأحكام مشروعة لمصالح العباد⁹⁵.

فعلم المقاصد ليس علما حديثا يختص به المتأخرون بالاهتمام ولكنه قد أصبح مهتما عند العلماء القدماء، لقد عبر الإمام الغزالي هذه المقاصد بالمصلحة في كتابه المستصفى فقال: (أما المصلحة فهي عبارة في الأصل عن جلب منفعة ودفع مضرة)⁹⁶، وأما الإمام الجويني قد قال في كتابه البرهان: (ومن لم يتفطن لوقوع المقاصد في الأوامر والنواهي فليس على بصيرة في وضع الشريعة)⁹⁷، وقال الآمدي في الإحكام عن المصالح الضرورية: (والحصر في هذه الخمسة أنواع إنما كان نظرا إلى الواقع، والعلم بانتفاء مقصد

93 . الأنبياء : 107

94 . يونس : 57

95 . انظر الموافقات للشاطبي كتاب المقاصد ص 297-298 ج 2 دار الحديث القاهرة س 1427هـ- 2006م

96 . المستصفى للغزالي ص 286 ج 1 دار الفكر دون الطبع ولا السنة

97 .

ضروري خارج عنها في العادة)⁹⁸، بل الشاطبي يعد أول من تكلم عن المقاصد بالتفصيل وجعل في كتابه الموافقات بابا خاصا لعلم المقاصد وليس هذا مقام بسطها. ولكن هناك نقطة لا بد أن نفهمها ونتفطنها أن هذه المصالح ليست هي ما يراه الإنسان مصلحة له ونفعا حسب هواه، وإنما المصلحة ما كانت مصلحة في ميزان الشرع لا في ميزان الأهواء والشهوات، فالإنسان قد يرى النافع ضارا والضار نافعا متأثر بشهواته النفسية⁹⁹.¹⁰⁰

وهذه المصالح - حسب الاستقراء¹⁰¹ - ثلاثة أنواع: الضروريات، و الحاجيات، والتحسينيات، قال الشاطبي: (تكالف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام: أحدها: أن تكون ضرورية، والثاني: أن تكون حاجية، و الثالث: أن تكون تحسينية)¹⁰²، فالمتكلمون في المقاصد رأيتهم يرجعون إلى هذه التقسيمات التي جاء بها الشاطبي.

فموضوع بحثنا هنا هو المقاصد الضرورية، وللحاجيات والتحسينيات لهما بحث آخر ليس هنا مكان بسطه، فمن يريد المعرفة فيهما فليرجع إلى كتب المقاصد والأصول.

معنى المقاصد الضرورية

لفهم معنى المقاصد الضرورية لازم علينا أن نفهم معنى المقاصد ومعنى الضرورة باعتبار مفرديهما، لأن إدراك الأمور على ضربين، إدراك الذوات المفردة وإدراك نسبة هذه

98 . الإحكام للأمدى ص 343 ج 3 دار الصمعي ط 1 س 1424ها- 2003م

99 . الوجيز في أصول الفقه ص 378

100 . والتكفريون من ضمن هؤلاء الذين يرون المصالح والضرر بأهوائهم وأرائهم، فيكفرون ويقتلون ويفجرون ويزعمون أن في ذلك مصالح دينية ودنيوية، فأنهم إلى الإفساد أقرب منهم إلى الإصلاح.

101 . قال الشاطبي : (والمعتمد إنما هو أنا استقرينا من الشريعة أنها وضعت لمصالح العباد استقراء لا ينازع فيه الرازي ولا غيره)، انظر الموافقات ص 262 ج 2 دار

الحديث س 1427 ها- 2006 م

102 . الموافقات ص 265 ج 2

المفردات بعضها إلى بعض بالنفي أو الإثبات، فلا يمكن لنا فهم معنى المقاصد الضرورية بدون فهم معنى المقاصد أولا ثم معنى الضرورة ثانيا.

معنى المقاصد

المقاصد جمع المقصد وهو مصدر ميمي فأصله من الفعل الثلاثي قصد يقصد قصداً، ولهذا الكلمة لها استعمالات متعددة، فالقصد استقامة الطريق، يقال: قصدت قصده أي نحوت نحوه، وقصد الأمر: توجه إليه عامدا وإتيان شيء، والمقصد موضوع القصد، وقصد الأمر: توسط ولم يجاوز الحد فيه. ومن معان القصد الاقتصاد: التوسط بين الإسراف والتقتير، وهو النفقة على قدر الحاجة، والقاصد القريب، قال تعالى: (لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا) ¹⁰³ أي متوسطا بين القريب والبعيد. وهذه المعاني التي تدور حولها كلمة القصد في اللغة. ¹⁰⁴

فبعد عرض المعاني اللغوية رأينا أن القصد بمعنى التوجه وإتيان الشيء هو المعنى الذي يتناسب مع المعنى الاصطلاحي إذ القصد في معناه الاصطلاحي عند الفقهاء هو العزم المتجه نحو إنشاء فعل. ¹⁰⁵

معنى الضرورة

الضرورة هي الشدة التي لا مدفع لها والمشقة، والضروري: كل ما بمس إليه الحاجة مما ليس منه بد، والجمع الضروريات، وعند الأصوليين و منهم الشاطبي: الأمور التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تخر مصالح الدنيا على إستقامة، بل على تحارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بخسران مبين. ¹⁰⁶

¹⁰³ . التوبة : 42

¹⁰⁴ . معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ص 96 و المفردات في غريب القرآن ص 523

¹⁰⁵ . معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ص 96

¹⁰⁶ . الموفقات ص 265

فمن هنا تبين أن المقاصد الضرورية هي الأهداف من الشرع أو المعاني التي راعها الشارع في التشريع من أجل تحقيق مصالح العباد بحيث إذا فاتتهم هذه المعاني أدى إلى الفساد والخسران في دينهم ودنياهم.

والمقاصد الضرورية خمسة كما قال الشاطبي إن: (مجموع الضروريات خمسة، وهي: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل)¹⁰⁷، وقال الغزالي: (مقصود الشرع من الخلق خمسة وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة)¹⁰⁸. وقيل في كتاب التخبير شرح التحرير للمرداوي: (والمقاصد الضرورية الخمسة على غيرها، ومكملها على الحاجة، وهي على التحسينية، وحفظ الدين على الأربعة، وقيل: الأربعة، ثم مصلحة النفس، فالنفس، فالعقل، فالمال)¹⁰⁹ أي في التقديم عند وجود التعارض بين هذه الأشياء.

طريقة المحافظة على المقاصد الضرورية

لتحقيق هذه المقاصد بين الأصوليون طريقة المحافظة عليها، وقالوا إن طريقة المحافظة على هذه المقاصد تكون بطريقتين، أولهما: المحافظة من جانب الوجود وذلك بعقل ما به قيامها، والثاني: المحافظة من جانب العدم وذلك بترك ما فيه تنعدم.

قال الإمام الشاطبي في كتابه الموافقات: (والحفظ لها يكون بأمرين: أحدهما: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعتها من جانب الوجود. والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعتها من جانب العدم)¹¹⁰.

107 . المصدر السابق ص 266

108 . المستصفي ص 287 ج 1

109 . التخبير شرح التحرير للمردوي باب تعارض الأدلة ص 42429 ج 8 مكتبة الرشد بدون الطبع ولا السنة

110 . الموافقات ص 265

وقال الشيخ عبد الله دراز في حاشيته على كتاب الموافقات: (مراعات الضروريات من جانب الوجود تكون بفعل ما به قيامها وثباتها، ومراعتها من جانب العدم تكون بترك ما فيه تنعدم)¹¹¹.

خطورة التكفير المعين في ميزان المقاصد الضرورية الخمسة

بعد أن تكلمنا عن معنى التكفير المعين وما يتعلق به كلاما فقهيا ثم معنى المقاصد الضرورية اختصارا لرأينا أن هناك نقطة مهمة لا بد أن نهتم بها وهي أن التكفير المعين له خطورته على هذه المقاصد الضرورية التي اهتم بها الإسلام وسار على محافظتها وحث الإنسان على عدم انتهاك حرمتها، وذلك أن التكفير المعين يترتب عليه أشياء عظيمة من استباحة الدم والأموال والنسل وغير ذلك من الأشياء التي هي داخلة في هذه المقاصد الضرورية، وذلك لأن الكلام في التكفير المعين هو الكلام في رمي مسلم بالارتداد عن دين الإسلام، والردة شأنها عظيم حيث إنها رجوع عن دين الإسلام إلى الكفر، كما قال تعالى: (وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)¹¹²، وهي مؤدية إلى وجوب قتله، واستباحة ماله، وقطع علاقته الزوجية و غيرها من الأشياء التي سوف نبينها إن شاء الله تعالى.

الفصل الأول : خطورة التكفير المعين في الحفاظ على الدين

كما قد سبق أن ذكرنا أن المقاصد الضرورية خمسة وهي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ النسل، وحفظ العقل، وحفظ المال حسب الترتيب الذي ذكره الغرالي في المستصفي¹¹³، وهو من العالي للنازل على خلاف في ذلك¹¹⁴.

111 . المصدر السابق

112 . البقرة : 217

113 . المستصفي ص 287

بناء على هذا الترتيب فالحفاظ على الدين مقدم على غيره لعظم شأنه، ولذلك سوف نتكلم عن خطورة التكفير المعين في الحفاظ على الدين أولاً قبل الكلام عن غيره. وقبل معرفة ما هي خطوات التكفير في الحفاظ على الدين لازم علينا معرفة معنى الدين لغة واصطلاحاً، وطريقة المحافظة على الدين من جانبه الوجود والعدم ليتبين لنا عظمة الدين عند الله وأن التكفير يخالف ما أَرَادَهُ اللهُ وقصده، والبيان كما يلي.

المبحث الأول : تعريف الدين

لفهم حقيقة الدين يجب علينا أن نتعرف على معنى الدين في اللغة و الاصطلاح الشرعي ثم العلاقة بين المعنيين.

المطلب الأول : معنى الدين لغة

إذا رجعنا إلى المعاجم العربية لوجدنا أن كلمة الدين في اللغة له معان واستعمالات كثيرة، ومن معان كلمة الدين في اللغة هي:

1. الجزاء والمكافأة والحساب¹¹⁵، كقوله تعالى: (مالك يوم الدين)¹¹⁶، وكقول رسول الله صل الله عليه وسلم: (كما تدين تدان)¹¹⁷، وقال تعالى: (وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ)¹¹⁸.

2. الملك والسلطان¹¹⁹، كقوله تعالى: (مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ)¹²⁰

114 . قال الشيخ عبد الله دراز في شرحه على الموفقات: (ترتيبها من العالي للنازل هكذا : الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال على خلاف في ذلك، فإن بعضهم يقدم

النفس على الدين) انظر الموفقات مع شرح جليل ص 266 ج 2

115 . انظر لسان العرب ص 169 ج 13

116 . الفاتحة : 4

117 . رواه البخاري باب ما جاء في فاتحة الكتاب

118 . الحجر : 35

119 . لسان العرب ص 170 ج 13

120 . يوسف: 76

3. الطاعة والذل¹²¹، ومن هذا قوله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ

مُحْسِنٌ)¹²²، وقوله تعالى: (فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)¹²³

4. العادة والشأن¹²⁴، كقول العرب: (ما زال ذلك ديني وديدي أي عادي)¹²⁵

5. القضا¹²⁶، كقوله تعالى: (مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ)، قال قتادة: (في قضاء الملك)¹²⁷.

6. ويطلق الدين أيضا على الإسلام، كقوله تعالى: (أَفَعَبَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ)¹²⁸، وقوله

تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ)¹²⁹، وقوله تعالى: (وَلَا يَدِينُونَ دِينَ

الْحَقِّ)¹³⁰، وقول رسول الله صل الله عليه وسلم: (الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد)¹³¹.

هذه هي بعض معان الدين في اللغة، وهناك معان أخرى لكلمة الدين كالورع، والعز، والقهر، والمعصية وغير ذلك مما ليس لنا حاجة إلى بسط البيان فيها وما ذكر من المعاني فإنها كفاية إن شاء الله تعالى.

وقيل في معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية أن كلمة الدين استعيرت للشريعة أيضا

ويطلق على الطريقة¹³²، كقوله تعالى: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)¹³³، ويطلق على

121 . لسان العرب ص 170 ج 13

122 . النساء : 125

123 . الأعراف : 29

124 . لسان العرب ص 169 ج 13

125 . المصدر السابق

126 . المصدر السابق 170

127 . المصدر السابق

128 . آل عمران : 83

129 . التوبة : 33

130 . التوبة : 29

131 . رواه أحمد

132 . معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ص 94 ج 2

133 . الكافرون : 6

الحاكمية، كقوله تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) ¹³⁴ أي حاكميته وانفراده في التشريع ¹³⁵، ويطلق على القانون الذي ارتضاه الله لعباده ¹³⁶، كقوله تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) ¹³⁷

المطلب الثاني : معنى الدين اصطلاحاً

لقد تعددت تعريفات العلماء في معنى الدين اصطلاحاً، فهذا الإمام البيجوري قال في كتابه تحفة المرید على جوهرة التوحيد: (ولهم فيه - أي الدين - اصطلاحاً تعريفان، أحدهما مختصراً: وهو ما شرعه الله تعالى على لسان نبيه من الأحكام، ويسمى ديناً لأننا ندين له وبنقاده) ¹³⁸.

ثم قال: (وثانيهما مطول: وهو وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة لاختيارهم الحمود إلى ما هو خير لهم بالذات) ¹³⁹، ثم شرح رحمه الله هذا التعريف وذكر محترزاته فقال: (فقولهم (وضع) أي موضوع، فهو مصدر بمعنى اسم المفعول: أي شيء موضوع بقطع النظر عن أن يكون حكماً أو غيره. وقولهم: (إلهي) أي منسوب للإله وهو الله تعالى، وخرج به عن الوضع البشري ظاهراً. وقولهم: (سائق) أي باعث وحامل، لأن المكلف إذا سمع ما يترتب على فعل الواجب من الثواب أو على فعل الحرام من العقاب انساق إلى فعل الأول وترك الثاني، وخرج بقولنا الوضع الإلهي غير السائق كإنبات الأرض.

134 . البقرة : 193

135 . معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ص 94 ج 2

136 . المصدر السابق

137 . الشورى : 13

138 . تحفة المرید على جوهرة التوحيد للبيجوري ص 41 دار السلام ط 1 س 1422ها-2002م

139 . تحفة المرید على جوهرة التوحيد للبيجوري ص 41

وقولهم: (لذوي العقول السليمة) أي لأصحاب العقول السليمة من الكفر، والمراد سائق لهم فقط، وخرج به ما يسوقهم وغيرهم من الحيوانات كالأوضاع الطبيعية التي يهتدي بها الحيوانات وهي الإلهامات التي تسوق الحيوانات.

وقولهم: (باختيارهم المحمود) خرج به الأوضاع السائقة لهم لا باختيارهم، أو باختيارهم المذموم.

وقولهم: (إلى ما هو خير لهم) إنما ذكروه توصيلاً لقولهم (بالذات) فهو متعلق بخير، وذلك الخير الذاتي عبارة عن السعادة الأبدية والقرب من رب البرية، وخرج بذلك صنعنا الطب والفلاحة فإنهما وإن تعلقتا بوضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود، لكن لا إلى الخير الذاتي بل إلى صنف من الخير وهو حفظ صحة أبدانهم بالحكمة).

ثم قال رحمه الله بعد كلامه هذا: (وحاصل هذا التعريف مع طوله أن الدين هو الأحكام التي وضعها الله الباعثة للعباد إلى الخير الذاتي)¹⁴⁰.

وأما الجورجاني قال في التعريفات: (الدين : وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول صلى الله عليه وسلم)¹⁴¹.

ومنهم من يقول إن الدين هو ما شرعه الله لعباده من أحكام سواء ما يتصل منها بالعقيدة أو الأخلاق، أو الأحكام العملية¹⁴².

فبعد هذه التعريفات رأينا أن معنى هذه التعريفات واحد وإن تعددت عباراتها، فالدين هو نظام أو أحكام وضعها الله تعالى وشرعها على لسان نبيه لجميع عباده، وهذه الأحكام تشمل جميع الأحكام التي تتعلق بالعقيدة كتوحيد الله والإيمان به، و العبادة بجميع أنواعها كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج وغيرها، والمعاملات كالمناكحات،

140 . تحفة المرید علی جوہرۃ التحدید للبیجوری ص 42

141 . التعريفات ص 92

142 . معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ص 94 ج 2

والبيوع وما أوسع من ذلك كالعلاقة بين الراعي والمرعي، والأخلاق بجميع نواحيها، وكل هذه لسعادة العباد في دنياهم وأخراهم .

المطلب الثالث: العلاقة بين معنى اللغوي والاصطلاحي

سبق أن ذكرنا أن معنى الدين اصطلاحاً هو ما شرعه الله من أحكام و من أظهر معنى الدين في اللغة هو الطاعة والذل والخضوع، ومن هنا تظهر العلاقة بين المعنى الاصطلاحي واللغوي حيث إن العباد لا بد لهم من أن يوطيعوا شريعة الله ويخضعوا لها، ولذلك قال الجورجاني: (فإن الشريعة من حيث أن تطاع تسمى ديناً).¹⁴³

المبحث الثاني : طريقة المحافظة على الدين

بعد أن انتهينا عن الكلام في معنى الدين لرأينا أن للدين مكانة عظيمة حيث إنها نظام الحياة الذي أنزله الله تعالى لإصلاح شؤون العباد لينالوا السعادة في حياتهم في الدنيا والآخرة، ولذلك، خلل في جانب الدين يؤدي إلى اضطراب وفساد كبير في الدنيا وهلاك في الآخرة.

الدين ضرورة للإنسان لأنه لا نجاة للإنسان من عذاب الله إلا بالدين ولا فوز في حياتهم الدنياوية والأخرائية إلا بإقامة الدين، قال تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)¹⁴⁴، ولأنه الذي أرشد الإنسان إلى معرفة ربه الذي خلقه و أحسن خلقه، وبه يعرف الإنسان كيف يعبد إلهه سبحانه و يدعوه ويتقرب إليه بفعل طاعته وإتيان محابه وترك مكارهه واجتناب مساخطه بل حاجته إلى الدين أشد من حاجته إلى الطعام والشراب والهواء ولا ينكر هذه الحقيقة إلا معاند ومكابر¹⁴⁵ . فالدين هو الذي يرفع

¹⁴³ . التعريفات ص 92-93

¹⁴⁴ . الروم : 30

¹⁴⁵ . انظر عقيدة المؤمن لأبي بكر جابر الجزائري ص 19 دار الفكر ط 1 س 1995 م

درجة الإنسان فوق درجة الحيوانات حيث إن الحيوانات خلقها الله تعالى لمهمة وهي قائمة بما تسخيرا من الله تعالى، وأما الإنسان فإنه خلق ليعبد الله تعالى اختيارا وطواعية. فبناء على هذا وعلى رحمة من الله تعالى على عباده شرع الله طريقة المحافظة على الدين، وهذه الطريقة على جانبين، جانب الوجود وجانب العدم.

المطلب الأول : طريقة المحافظة على الدين من جانب الوجود

المراد بالمحافظة على الدين من جانب الوجود هو فعل ما يقوم به الدين ويثبت، وكما عرفنا أن مصلحة الدين متفاوتة، منها ما يكون في رتبة الضروري كالمسائل الإيمانية، ومنها ما يكون في رتبة الحاجة وهي مسائل العبادة التي تكون بالأوامر الجازمة كالصلاة والحج وغير ذلك، ومنها ما يكون في رتبة التحسين وهي نوافل الخير، وكل العبادة التي تكون بالأوامر غير جازمة، وهذه الرتبة تكمل الرتبة التي قبلها كنوافل الصلاة و نوافل الصدقات وغير ذلك، فكل مرتبة من هذه المراتب درجات وتكمل السفلى منها العليا. بناء على هذا فطريقة المحافظة على الدين يكون بغرس الدين في النفوس إبتداء أو بحفظ بقائه استمرارا ودواما وذلك بالوسائل الآتية:

1. ترسيخ اليقين بأصول الإيمان وأركانه

المراد بالإيمان في اللغة هو التصديق¹⁴⁶، وقال العلماء: إن الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح¹⁴⁷، فالإيمان واجب لجميع المكلفين لأنه أصل لصحة جميع الأعمال ولا يقبل أي عمل عند الله إلا بالإستناد إليه، فهو أساس دين الإسلام الذي لا يقوم إلا به، فإذا استقام الإيمان قام وإذا فسد انهدم حتى قيل: (من شهد

146 . التريفات ص 37

147 . المفردات ص 33

وعمل ولم يعتقد فهو منافق، ومن شهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسق، ومن أخل بالشهادة فهو كافر¹⁴⁸.

ولقد جاء القرآن بالأمر بالإيمان بأركان الإيمان في عدد من آياته، فقال تعالى: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ)¹⁴⁹، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا)¹⁵⁰، فأمره تعالى بالإيمان ووعيده الشديد على منكره دال على أن أمر الإيمان ليس أمرا هينا بل لا دين لمن لا إيمان له لأن الإيمان هو أساس الدين الذي لا يقوم إلا به.

فكما كان القرآن جاء بالأمر بوجوب الإيمان بالله وغيره من أركانه ، فإنه جاء بطرق شتى لإرشاد العقول في البحث عن حقيقته، وعن تلك الطرق يتوصل الإنسان سليم العقل والفطرة إلى الإيمان الصادق الذي يقوم على الحجة والبرهان، فالتصديق بالقلب والإقرار باللسان يعتبر أصلا لأحكام الدنيا والآخرة، أما الاعتراف باللسان فقط فلا يعتبر إلا في أحكام الدنيا وحدها، فلا يجوز إسقاط الإيمان لإي عذر لأن تبديله يوجب الكفر على كل حال.

فالسؤال يطرح نفسه، كيف يتوصل الإنسان إلى حقيقة الإيمان بالله وغيره؟، والجواب أن هناك طريقتان جعلهما الله وسيلة ليصل الإنسان بها إلى معرفة حقائق الوجود: أحدهما: طريقة العقل. فالعقل في الإسلام له مكانة عالية وبه ميز الله تعالى الإنسان عن سائر المخلوقات، فهو نور أعطاه الله للإنسان وقد جعله الله سبيل الوصول إلى الحق،

148 . التزييفات ص 37

149 . البقرة : 285

150 . النساء : 136

فيخبرنا الله تعالى أن العقل هو حاسة القلب، كما أن النظر هو حاسة العين، قال تعالى:
(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى
الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)¹⁵¹.

قال الشيخ أبو بكر جابر الجزائري: (إن مسلك السهل والسليم في آن واحد للبحث
عن الإيمان بالله تعالى أي عن وجوده تعالى، والتصديق به عز وجل ربا وإلهًا، هو مسلك
احترام العقل البشري، وقبول أحكامه التي يصدر على الأشياء نفيا أو إثباتا، وجودا أو
عدما، ومن ذلك حكمه الواضح الصريح بوجود الباري عز وجل، وبوجوب معرفته
وطاعته، والتقرب إليه، والأخذ بهدأيته، والسير في طريق أوليائه من صالح عبادته)¹⁵².
ولذلك نجد في القرآن الكريم كثيرة من الآيات تخاطب العقل البشري وتدعوه إلى التفكير
والتفكير في إثبات وجود الرب عز وجل، ومن هذه الآيات منها ما يخاطب الإنسان
ويدعوه إلى التفكير في نفسه حيث فيها ما دل على وجود الله تعالى، فقال تعالى: (أَمْ
خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ)¹⁵³، وقال تعالى موجها الإنسان إلى مبدأ وجوده
وبقائه في هذه الدنيا، واستدرجه إلى الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه:
(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ . الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ . فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا
شَاءَ رَكَّبَكَ)¹⁵⁴، وقال تعالى: (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ
مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ)¹⁵⁵، وقال تعالى: (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى . أَلَمْ يَكُ
نُطْقَةً مِنْ مِثْيِ يُمْنٍ)¹⁵⁶، وقال تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ

151 . الحج : 46

152 . عقيدة المؤمن ص 22

153 . الطور : 35

154 . الإنفطار : 6 - 8

155 . الطارق : 5 - 7

156 . القيامة : 36-37

جَعَلَنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَّوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (157) .

ومن الآيات ما يرشد الإنسان إلى التفكير فيما حوله من الكائنات حيث فيها ما دل على وجود الرب جل وعلى ووحدانيته، فقال تعالى: (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا حَابًا وَاللَّيْلَ نَدُومًا مَتَوِّجًا وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ . وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) (158) ، وقال تعالى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى . كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى) (159) ، وقال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (160) ، وقال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَنَضْرِبُ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (161) ، وهذه الآية جاءت بعد قوله تعالى: (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) (162) .

و من الآيات ما يرشد الإنسان إلى التفكير في الصلة بينه وبين ما حوله من الكائنات و أن الإنسان نفسه هو أحد المخلوقات الكونية الذي أسكنه الله تعالى هذه الأرض و يشاركها في كثير من الصفات، فالإنسان يشارك الجمادات حيث إنه خلق من تراب، و يشارك النباتات في نموه وغيره، و يشارك الحيوانات في كثير من صفاته، ولكن مع ذلك فإنه ينفرد بصفات خاصة لا تشارك فيها الكائنات حيث ميزه الله وكرمه وفضله على

157 . المؤمنون : 12 - 14

158 . الحجر : 19-20

159 . طه : 53-54

160 . النحل : 14

161 . البقرة : 164

162 . البقرة : 163

سائر المخلوقات بكثير من الصفات وعلى رأسها العقل، وسائر الكائنات إنما هي مسخرة لمصلحه، قال تعالى: (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ . أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا . ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا . فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا . وَعَبْنَا وَقَضَبًّا . وَزَيَّنَّاها وَخَلَّلًا . وَحَدَائِقَ غُلْبًا . وَفَاكِهَةً وَأَبًّا . مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ)¹⁶³، ثم قال تعالى في صلة الإنسان بالكون والطبيعة وأنها مجلا لتفكره: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)¹⁶⁴، وقال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)¹⁶⁵.

فهذه الآيات الكرآنية تدعو وترشد الإنسان كيف يستعمل عقله ليصل إلى إدراك وجود الحقيقة الكبرى ألا وهي وجود ربه عز وجل.

الطريقة الثانية: طريقة الوحي. مهما بلغ الإنسان من كمال العقل فإن عقله يبقى محدودا حيث إن العقل مخلوق من مخلوقات الله، ومن طبيعة المخلوق أنه محدود، فهناك أشياء لا يدركها العقل مهما بلغ من الكمال مثل حقائق عالم الغيب وما وراء عالم الشهادة فلا سبيل للعقل إلى معرفة حقائق هذه الأشياء إلا عن طريق الوحي من الله، فأرسل الله رسوله لهذه المهمة وغيرها مما ليس للعقل فيه مجال.

وخلاصة القول أن الإيمان بالله هو أصل الدين، والإنسان يصل إليه بهداية من الله تعالى عن طريق إرشاد الوحي للعقول، والقرآن قد خاطب عقل الإنسان بطرق شتى حتى يصل

. عبس : 24 - 32¹⁶³

164 . آل عمران : 190-191

165 . البقرة : 163

الإنسان بها إلى الحقيقة الكبرى وهي الإيمان بوجود الرب عز وجل خالق هذا الوجود، وبذلك يوجد الدين.

2. القيام بأصول العبادات وأركان الإسلام

بعد الكلام في الإيمان بالله تعالى ومعرفتنا أنه يعتبر أساسا لا بد منه لقيام الدين والمحافظة عليه نأتي الآن إلى المرتبة الثانية في طريقة المحافظة عليه وهي مرحلة العبادات الإلزامية، فالعبادة هي الخضوع والتذلل وإنما تعتبر جزءا أساسيا لقيام الدين وكماله والمحافظة عليه، فهذه العبادات هي: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج. ومن أهم أسرار هذه العبادات وحكمها أنها تصل العبد بربه وتوثق صلته به مما يرسخ أصل الإيمان في نفسه ويجدده، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عن ربه: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)¹⁶⁶، وقال صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت من استطاع إليه سبيلا)¹⁶⁷، وتكلم عن هذه العبادات اختصارا بإنشاء الله تعالى.

الأول: الصلاة

الصلاة لغة بمعنى الدعاء¹⁶⁸، وسميت الصلاة في الشريعة صلاة لاشتغالها عليه، قال تعالى: (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)¹⁶⁹ أي ادعوا لهم¹⁷⁰. واصطلاحا هي التعبد لله تعالى بأقوال وأفعال معلومة مفتوحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم مع النية بشرائط المخصوصة¹⁷¹.

فالصلاة لها منزلتها في الدين، فهي ركن ثان في الإسلام بعد الشهادة ألا إله إلا الله محمد رسول الله، وهي عمود الدين لا يقوم إلا به، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

166 . رواه البخاري باب التواضع

167 . رواه البخاري

168 . التعريفات ص 114

169 . التوبة : 103

170 . تيسير الكريم الرحمن للعلامة السعدي ص 350

171 . شرح المتمتع ص 5 ج 2

(رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ)¹⁷²، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة فإذا صلحت صلاة العبد صلح سائر عمله وإذا فسدت فسدت سائر عمله، كما قال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ بِصَلَاتِهِ فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ)¹⁷³، وهي عبادة لا تنفك ولا تنفصل عن المكلف وتبقى ملازمة طول حياته، وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر¹⁷⁴.

نظرا إلى أهمية الصلاة في الحفاظ على الدين جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة آخر واصيته وصى بها¹⁷⁵، بل شدد على تاركها ونسبه إلى الكفر، فقال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ)¹⁷⁶.

فهذه هي الصلاة لها دورها الكبير في الحفاظ على الدين، فمن أقامها فقد أقام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين.

الثاني: الزكاة

الزكاة لغة بمعنى النماء، والزيادة، والطهارة، والبركة¹⁷⁷، وشرعا: التبعيد لله بإخراج جزء واجب شرعا في مال معين لطائفة أو جهة مخصوصة¹⁷⁸. وسميت الزكاة زكاة لأنها تزيد في مال الذي أخرجت منه وتزكي نفس المتصدق، قال تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا)¹⁷⁹.

الزكاة فرض عين على من توفر عنده شروط وجوبها، فهي واجبة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، وأما الكتاب فقال تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ)¹⁸⁰، وأما السنة فقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ ابن جبل إلى اليمن، فقال له: (فأعلمهم أن الله افترض

172 . رواه الترمذي

173 . رواه النسائي

174 . العنكبوت : 45

175 . رواه أحمد

176 . رواه النسائي

177 . الشرح الممتع ص 12 ج 6 وفقه السنة لسيد سابق كتاب الزكاة ص 235 ج 1 الفتح للإعلام العربي القاهرة بدون الطبع ولا السنة

178 . المصدر السابق ص 13 ج 6

179 . التوبة : 103

180 . البقرة : 43

عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم¹⁸¹، وأما الإجماع فقد أجمع المسلمون في جميع الأقطار على وجوبها¹⁸²، ولقد اتفق الصحابة رضوان الله عليهم على قتال مانع الزكاة¹⁸³، وهي تلي الصلاة في ترتيب أركان الإسلام، وذكرت معها في القرآن اثنين وثمانين مرة¹⁸⁴ وذلك يدل على أهميتها. فمن أنكر وجوب الزكاة جهلا لحديث عهد بالإسلام مثلا علم حتى يعلم وجوبها، ومن أنكر وجوبها جحدا ارتد ويجري عليه أحكام المرتدين يستتاب ثلاثا فإن تاب وإلا قتل¹⁸⁵، ومن منعها وهو يعتقد وجوبها أخذ الإمام منه قهرا¹⁸⁶، ولكن هل يكفر بذلك أم لا؟ اختلف فيه أهل العلم إلى قولين :

1. أنه يكفر، وقد روي عن الإمام أحمد رحمه الله في إحدى الروايات عنه: (أن تاركها بخلا يكفر كتارك الصلاة كسلا)¹⁸⁷

2. أنه لا يكفر

أدلة كل فريق

1. لقد استدل الفريق الأول على كفر مانع الزكاة بخلا بقوله تعالى: (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَتُقَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)¹⁸⁸، فرتب ثبوت الأخوة على هذه الأوصاف الثلاثة، ولا يمكن أن تنتفي الأخوة في الدين إلا إذا خرج الإنسان من الدين، أما إذا فعل الكبائر فهو أخ لنا¹⁸⁹، فالقائل عمدا قال الله تعالى فيه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ

181 . رواه البخاري

182 . المغني لابن قدامة المقدسي كتاب الزكاة ص 5 ج 4 دار عالم الكتب ط 3 س 1417 ها- 1997 م

183 . المصدر السابق

184 . فقه السنة لسيد سابق ص 235

185 . المغني ص 7 ج 4

186 .

187 . الشرح الممتع ص 5 ج 6

188 . التوبة : 11

189 . الشرح الممتع ص 6 ج 6

مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةً فَمَنْ اِعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ¹⁹⁰ ، فجعل الله المقتول أخا للقاتل.

وقال تعالى في المقتلين من المؤمنين: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)¹⁹¹ مع أن قتل المؤمن وقتاله من كبائر الذنوب، فلا يمكن أن تنتفي الأخوة في الدين إلا بالكفر، فدل على كفر تارك الزكاة¹⁹².

2. وأما الفريق الثاني لقد استدل على عدم مانع الزكاة بخلا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار)¹⁹³ ، ووجه الإستدلال من هذا الحديث ولو كان كافرا لم يكن له سبيل إلى الجنة، وهذا هو القول الراجح إن شاء الله تعالى¹⁹⁴.

ولكن مهما اختلفوا في هذه القضية المعينة فإنهم قد اتفقوا على أن مشروعية الزكاة هي سبيل من سبل الحفاظ على الدين حيث إن فعل العبادات في حاجة ماسة إليها في توفير حوائجها من المطعم والمشرب والملبس وغير ذلك مما يحتاجه المستحق لقيام عبادته نحو الله تعالى، فمن أدى الزكاة فقد أقام الدين ومن لم يؤدها فقد هدم الدين.

3. صيام رمضان

الصيام لغة الإمساك¹⁹⁵ ، فقال تعالى: (فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا)¹⁹⁶ أي الإمساك عن الكلام¹⁹⁷ . وشرعا: التعبد لله تعالى بالإمساك عن الأكل والشرب وسائر المفترات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس¹⁹⁸ . وصيام رمضان واجب بالكتاب والسنة والإجماع، وأما الكتاب فقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ

190 . البقرة : 178

191 . الحجرات : 10

192 . الشرح المتع ص 6 ج 6

193 . رواه مسلم

194 . الشرح المتع ص 6 ج 6

195 . انظر الشرح المتع ص 298 ج 6

196 . مريم : 26

197 . انظر الشرح المتع ص 298 ج 6

198 . المصدر السابق

عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) إلى قوله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ... الخ)¹⁹⁹. وأما السنة فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس... الخ) وذكر فيه (وصوم ومضان)، وعن طلحة ابن عبيد الله قال: (أن أعرابيا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم نائر الرأس فقال يا رسول الله أخبرني ما فرض الله علي من الصيام فقال ((شهر رمضان إلا أن تطوع شيئا))²⁰⁰. وأجمع المسلمون على وجوب صيام شهر رمضان²⁰¹، فمن أنكر وجوب الصيام بعد علمه بالوجوب فقد كفر.

فالصيام له حكم كثيرة التي من خلالها نرا أن الصيام له دوره الكبير في الحفاظ على الدين، ومن هذه الحكم هي تزكية النفس وتطهيرها وتنقيتها من الأخلاق الرديئة والأخلاق الرذيلة لأن الصيام يضيق مجاري الشياطين في بدن الإنسان فبذلك يكون الإنسان تقيا كما أراده الله تعالى.

ومن حكم الصيام أن في الصيام تزهيد في الدنيا وشهواتها وترغيب في الآخرة ونعيمها، ثم الصوم يبعث على العطف على المساكين، والشعور بالامهم، لأن الصائم يذوق ألم الجوع والعطش فإنه مدرسة خلقية كبرى يتدرب فيها المؤمن على خصال كثيرة، فهو جهاد للنفس، وقاومة للأهواء، ونزغات الشيطان التي قد تلوح له، ويتعود به الإنسان خلق الصبر على ما قد يحرم منه وعلى الأهواء والشدائد التي قد يتعرض لها، ويعلم النظام والانضباط إلى غير ذلك من الحكم البليغة والفوائد العديدة²⁰²، فهنا يظهر دور الصيام في الحفاظ على الدين.

4. الحج

199 . البقرة : 183-185

200 . رواه البخاري

201 . انظر المغني كتاب الزكاة ص 323 ج 6

202 . انظر صحيح فقه السنة لأبي مالك كمال ابن السيد سالم كتاب الصيام ص 88 ج 2 بدون الطبع ولا السنة

الحج لغة بمعنى القصد²⁰³، وشرعا بمعنى التعبد لله بأداء المناسك على ما جاء في سنة رسول الله²⁰⁴ صلى الله عليه وسلم. ومنزله في الدين أنه أحد أركان الإسلام وهو واجب بالكتاب والسنة والإجماع.

وأما الكتاب فقال تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)²⁰⁵، وقال تعالى: (وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ)²⁰⁶، وأما السنة فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس... الخ) وذكر منها الحج، وأجمعت الأمة على وجوب الحج على المستطيع في العمر مرة واحدة²⁰⁷، فمن أنكر وجوب الحج بعد العلم فقد كفر.

تلك هي الأصول الأربعة للعبادة والإيمان بالله على رأسها، وهي حق لله تعالى على عباده، إلا أن منافعها ومصالحها تعود عليهم للسعادتهم في الدنيا والآخرة، فهي تثبت روح الخير ونور الإيمان في نفوسهم وتباعدتهم عن الفحشاء والمنكرات. وهذه العبادات أيضا وسيلة للحصول على الفضائل الضرورية كالصدق والأمانة والعدل والوفاء بالعهود وغير ذلك ووسيلة لدفع المفساد والمضار عنهم، وبذلك صارت وسيلة للمحافظة على مصلحة الدين التي هي المصلحة العليا.

المطلب الثاني : طريقة المحافظة على الدين من جانب العدم

بعد أن تكلمنا عن المحافظة على الدين من جانب الوجود نأتي الآن إلى الكلام عن المحافظة على الدين من جانب العدم.

والمراد بالمحافظة على الدين من جانب العدم هي نفي ما به ينعدم وذلك بالوسائل الآتية: مشروعية الجهاد في سبيل الله، ومشروعية قتل المرتدين، ومحاربة الابتداع والمبتدع في الدين، وتحريم المعاصي والمعاقبة على فاعلها.

203 . الشرح الممتع كتاب الحج ص 5 ج 7

204 . المصدر السابق

205 . آل عمران : 97

206 . البقرة : 196

207 . المغني ص 5 ج 5

1. الجهاد في سبيل الله

الجهاد لغة بمعنى المشقة²⁰⁸، يقال: (جهدت جهدا) أي بلغت المشقة، والجهاد شرعا بمعنى: بذل الجهد في قمع أعداء الإسلام بالقتال وغيره لتكون كلمة الله هي العليا²⁰⁹. والجهاد مشروع بالكتاب والسنة والإجماع، وأما الكتاب فقول الله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ)²¹⁰، وقال تعالى: (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)²¹¹. وأما السنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا هجرة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا)²¹²، وهو مما أجمعت عليه الأمة²¹³، فمن أنكر مشروعية الجهاد في سبيل الله فقد كفر.

وحكم الجهاد هو فرض الكفاية مع القدرة²¹⁴، وقد يتغير فأصبح واجبا عينيا إذا اقتضت الحال ذلك، فيجب الجهاد عينيا إذا حضر الإنسان القتال لقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبئسَ المَصِيرُ)²¹⁵، وقد أخبر النبي أن التولي يوم الزحف من الموبقات: (اجتنبوا السبع الموبقات - وذكر منها - التولي يوم الزحف)²¹⁶.

208 . المفردات ص 131

209 . الشرح الممتع ص 5 ج 8

210 . البقرة : 216

211 . التوبة : 41

212 . رواه البخاري

213 . انظر الملخص الفقهي للشيخ صالح ابن فوزان ابن عبد الله الفوزان كتاب الجهاد ص 315

214 . انظر المغني ص 6 ج 13 ، والشرح الممتع ص 6 ج 8 ، والموسوعة الفقهية الميسرة لحسين بن عودة العوايسة كتاب الجهاد ص 8 ج 7 دار بن حزم ط 1 س

1429هـ- 2008 م

215 . الأنفال : 15

216 . رواه البخاري

والثاني - أي ما يجعل الجهاد واجبا عينيا - إذا حصر بلده العدو فيجب عليه القتال دفاعا عن البلد، والثالث إذا استنفره الإمام لقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ)²¹⁷، ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وإذا استنفرتم فانفروا)²¹⁸، والرابع إذا احتيج إليه بحيث الناس محتاجون إليه ولا أحد يحسن ذلك العمل إلا هو فصارت القتال في حق ذلك الرجل واجبا، وما عدا ذلك فهو فرض كفاية²¹⁹.

والجهاد ثلاثة أقسام: جهاد النفس، والجهاد المنافقين، والجهاد الكفار.

فجهاد النفس هو إرغامها على طاعة الله، ومخالفتها في الدعوة إلى معصية الله، وهو الجهاد الذي يتفرع منه جهاد الكفار والمنافقين، ولذلك كان مقدما عليهما وأصلا لهما لأنه أشد ما يكون على الإنسان وأشق، فمن لم يجاهد نفسه أولا لفعل أوامر الله وترك نواهيه فإنه لا يمكنه جهاد المنافقين والكفار في الخارج، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله و المهاجر من هجر الخطايا و الذنوب)²²⁰، فلا يمكن لأحد أن يجاهد الكفار حتى يجاهد نفسه ويخذلها لطاعة الله²²¹.

وأما جهاد المنافقين فيكون بالعلم والحجة والبرهان لا بالقتال لأن المنافقين لا يقاتلون، و الدليل على جهادهم هو قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَاَبْنَسَ الْمَصِيرُ)²²²، فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار

²¹⁷ . التوبة : 38

²¹⁸ . سبق تخرجه

²¹⁹ . انظر الشرح المتنع ص 7- 11 ج 8 ، والمغني ص 8 ج 13 ، والموسوعة الفقهية الميسرة ص 11- 12 ج 7

²²⁰ . رواه البيهقي في شعب الإيمان

²²¹ . انظر الشرح المتنع ص 5 ج 8 ، وانظر زاد المعاد لابن القيم ص 68 ج 2 دار العنان القاهرة ط 1 س 1423ها- 2003م

²²² . التوبة : 73

لأنهم يخفون ما في أنفسهم من الكفر ويتظاهرون بالإسلام، فالتمييز بينهم وبين المسلمين من الصعوبة بمكان، ولذلك امتنع رسول الله عن قتالهم ولم يأذن أصحابه لذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه)²²³، فجهاد المنافقين هو جهاد خواص الأمة وورثة الرسل وهم العلماء²²⁴.

وأما جهاد الكفار المعاندين المحاربين فهذا يكون بالسلاح، ودليل على ذلك هو قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)²²⁵، وهذه الآية تشمل النوعين: جهاد المنافقين بالعلم، وجهاد الكفار بالسلاح، ولكن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا إن القوة الرمي) يؤيد أن المراد بذلك السلاح والمقاتلة²²⁶. وهذا النوع من الجهاد ينقسم إلى نوعين: جهاد الدفع والجهاد الطلب وليس هنا مكان بسطه.

فالجهاد بكل أنواعه يكون سبيلا من سبل المحافظة على الدين من جانب العدم، فإنه يحمي هذا الدين من كل ما يحدده إما تحديدا داخليا وإما تحديدا خارجيا، ولذلك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذروة سنام الإسلام، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَدُلُّكَ عَلَى رَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرُورِهِ سَنَامِهِ أَمَّا رَأْسُ الْأَمْرِ فَالْإِسْلَامُ فَمَنْ أَسْلَمَ سَلِمَ وَأَمَّا عَمُودُهُ فَالصَّلَاةُ وَأَمَّا ذُرُورُهُ سَنَامِهِ فَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)²²⁷. وقال أبو عبد الله - أي أحمد ابن حنبل - رحمه الله: (لا أعلم شيئا من العمل بعد الفرائض أفضل من الجهاد)²²⁸. وقال الأثرم: قال أحمد: (لا نعلم شيئا من أبواب البر أفضل من السبيل)²²⁹.

223 . رواه البخاري

224 . انظر الشرح الممتع ص 5 ج 8 ، وانظر زاد المعاد ص 68 ج 2

225 . الأنفال : 60

226 . الشرح الممتع ص 6 ج 8

227 . رواه أحمد

228 . المغني ص 10 ج 13

229 . المصدر السابق

2. قتال المرتدين

المرتد اسم فاعل من الردة وهي لغة بمعنى الرجوع²³⁰، واصطلاحاً هي الإتيان بما يخرج به عن الإسلام إما نطقاً، أو اعتقاداً، أو شكاً ينقل عن الإسلام وقد يحصل بالفعل²³¹. وارتد فلان عن دينه إذا كفر بعد إسلامه²³². قال الله تعالى: (وَمَنْ يَزِدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)²³³، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من بدل دينه فاقتلوه)²³⁴، وقد أجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتدين، وهذا قد روي عن أبي بكر، وعثمان، وعلي، وومعاذ، وأبي موسى، وابن عباس، و خالد ولم ينكر فكان إجماعاً²³⁵. فالردة أمر خطير على دين الإسلام حيث إنها تحرب بنيانه؛ لما يترتب عليها من الأمور الخطيرة في الدنيا والآخرة كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى، فدفع الردة ومحاربتها أمر لا بد منه لا محالة حتى يقوم الدين على أسسه السليمة، فقتال المرتدين يكون وسيلة من المسائل للمحافظة على الدين من جانب العدم.

3. محاربة الابتداع والمبتدع في الدين

أصل مادة بدع للاختراع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)²³⁶، أي مخترعهما من غير مثال سابق متقدم. ويقال: ابتدع فلان بدعة، يعني: ابتدأ طريقة لم يسبقه إليها سابق²³⁷.

230 . معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ص 140 ج 2

231 . المصدر السابق

232 . المصدر السابق

233 . البقرة : 217

234 . رواه البخاري

235 . المغني ص 264 ج 12

236 . البقرة : 117

237 . الاعتصام للشاطبي ص 49 ج 1 دار بن عفان ط 1 س 1418-1997م

واصطلاحا البدعة عبارة عن طريقة في الدين مخترعة يضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه²³⁸.

ويقال أيضا إن البدعة هي الفعلة المخالفة للسنة، وسميت البدعة لأن قائلها ابتدعها من غير مقال إمام²³⁹.

ويقال أيضا أنها الأمر المحدث لم يكن عليه الصحابة والتابعون ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعي²⁴⁰.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب)²⁴¹.

وقال أيضا: (والبدعة ما خالفت الكتاب والسنة أو إجماع سلف الأمة من الإعتقادات والعبادات، كأقوال الخوارج والروافض والقدرية والجهمية، وكذلك يتعبدون بالرقص والغناء في المساجد، والذين تعبدون بخلق اللحمي وأكل الحشيشة وأنواع ذلك من البدع التي يتعبد بها طوائف من المخالفين للكتاب والسنة)²⁴².

وقال شيخ الإسلام: (والبدع نوعان: نوع في الأقوال والاعتقادات، ونوع في الأفعال والعبادات. وهذا الثاني يتضمن الأول، كما أن الأول يدعو إلى الثاني)²⁴³.

وأما الشاطبي قسم البدعة إلى قسمين: البدعة الحقيقية، والبدعة الإضافية. فالبدعة الحقيقية هي التي لم يدل عليها دليل شرعي، لا من كتاب، ولا من سنة، ولا إجماع، ولا قياس، ولا استدلال معتبر عند أهل العلم، لا في الجملة ولا في التفصيل.

238 . المصدر السابق ص 50

239 . التعريفات ص 40

240 . التعريفات ص 40

241 . مجموع فتاوى لابن تيمية ص 107-108 ج 4

242 . المصدر السابق ص 346 ج 18

243 . مجموع فتاوى ص 306 ج 22

وأما البدعة الإضافية فهي التي لها شائبتان إحداهما لها من الأدلة متعلق، فلا تكون من تلك الجهة بدعة. والأخرى ليس لها متعلق إلا مثل ما للبدعة الحقيقية، أي إنها بالنسبة إلى إحدى الجهتين سنة، لأنها مستندة إلى دليل، وبالنسبة إلى الجهة الأخرى بدعة، لأنها مستندة إلى شبهة لا إلى دليل، أو غير مستندة إلى شيء²⁴⁴.

على كل فالبدعة في الدين شر بكل أنواعها وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل بدعة ضلالة و كل ضلالة في النار)²⁴⁵ فالكل يفيد العموم، وهذا يكون حجة على من قسم البدعة إلى البدعة الحسنة والبدعة السيئة.

ولقد حارب علماء أهل السنة هذه البدعة جيل بعد جيل وبذلوا أقصى جهدهم لتصفية هذا الدين من شوكتها لأنهم علموا أن البدعة مهما صغرت خطيرة على الدين حيث إنها تضيع السنة، لأن الناس لم يبتدعوا بدعة قط حتى تركوا من السنة مثلها²⁴⁶، ولذلك شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاعل البدعة بقوله: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)²⁴⁷.

ومما يدل على شناعة فاعل البدعة هو قوله تعالى: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ)²⁴⁸، وقال ابن عباس مفسرا لهذه الآية: (حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة)²⁴⁹.

244 . الاعتصام ص 367 – 368 ج 1

245 . رواه ابن خزيمة

246 . انظر شرح السنة للإمام البرهاري ص 37 مكتبة دار المنهاج ط 1 س 1426 ها

247 . رواه البخاري

248 . آل عمران : 106

249 . تفسير ابن كثير ص 518 ج 1

فمحرابة الابتداع والمبتدع أمر لا بد منه للحماية على الدين لأن البدع كما قلنا تقوم ضد السنة، ولا يمكن لنا إقامة هذا الدين إلا بالسنة، ولا تمكن إقامة الدين مادمت البدع تنتشر. قال الإمام البرهاري في كتابه شرح السنة: (اعلموا أن الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر)²⁵⁰.

فليس للبدع مكان من هذا الدين في شيء لأن البدع ضلالة والدين هدى، البدع ظلام والدين نور، البدع تهدي إلى النار والدين يهدي إلى الجنة، قال أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله: (لا عذر لأحد في ضلالة ركبها حسبها هدى، ولا في هدى تركه حسبه ضلالة، فقد بينت الأمور، وثبتت الحجة، وانقطع العذر)²⁵¹.

4. تحريم المعاصي والمعاقبة على فاعلها

المعاصي جمع معصية وهي بمعنى الخروج عن الطاعة²⁵²، وفاعل المعصية يقال عاص، قال الله تعالى: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)²⁵³، وقال تعالى: (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)²⁵⁴.

فالمعصية هي كل ما يخالف طاعة الله تعالى من فعل الأوامر وترك النواهي وهي كل ما حرمه الله تعالى من فعل صغيرا كان أم كبيرا، فالمعصية تقوم ضد الدين الذي دائما يأمر ويحث الناس على طاعة الله تعالى، فمن يعص الله فلا يطعه، ومن يطع الله فلا يعصه، فلا يلتقي الدين بالمعصية أبدا.

250 . شرح السنة ص 35

251 . المصدر السابق ص 36

252 . المفردات ص 438 ج 1

253 . طه : 121

254 . النساء : 14

ولذلك أعلنت الشريعة المحاربة ضد المعاصي بجميع أنواعها صغيرة كانت أم كبيرة، وقد عينت العقوبة عليها درأ للمفاسد التي تترتب عليها، وهذه العقوبة إما حدودية وإما تعزيرية.

والعقوبة الحدودية هي: العقوبات المقدرة شرعا في المعاصي، لتمنع من الوقوع في مثلها²⁵⁵. و أنواع المعاصي التي داخلة في دائرة هذا النوع من العقوبة هي كالقتل والجناية على ما دون النفس، والزنا، والقذف، والخمر، والسرقه، والحراية، والبغي.

فقال تعالى في القتل: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)²⁵⁶.

وقال تعالى في الجناية ما دون النفس: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)²⁵⁷.

وقال تعالى في الزنا: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)²⁵⁸.

255 . انظر الفقه الميسر ص 351 دار أعلام السنة

256 . النساء : 92

257 . المائدة : 45

258 . النور : 2

وقال تعالى في القذف: (وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)²⁵⁹.

وقال تعالى في السرقة: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)²⁶⁰.

وقال تعالى في الحراة والبغي: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)²⁶¹.

وأما الخمر فقد ذكر في الحديث عن أنس بن مالك: (أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- جَلَدَ فِي الخُمْرِ بِالْجُرِيدِ وَالتِّعَالِ ثُمَّ جَلَدَ أَبُو بَكْرٍ أَرْبَعِينَ)²⁶².

وأما العقوبة التعزيرية فإنها تأديب؛ لأنها تمنع ما لا يجوز فعله، أو هي عقوبة غير مقدرة شرعا تجب حقا لله أو لآدمي في كل معصية ليس فيها حد أو كفارة غالبا²⁶³، ويختلف حكمه باختلاف حاله وحال فاعله. فالتعزير هو العقوبة على ذنب غير مقدرة شرعا باختلاف الحدود.

فالتعزير يعود إلى اجتهاد الحاكم مراعاة في ذلك حجم الجريمة، وأثر الجريمة، وحال المجني عليه، ومكانته الأدبية والاجتماعية²⁶⁴.

259 . النور : 4

260 . المائدة : 38

261 . المائدة : 33

262 . رواه مسلم

263 . معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ص 471 ج 1

264 . انظر الأحكام السلطانية للماوردي ص 236 دار الفكر ط 1 س 1380 ها- 1960 م

والمعاصي التي داخلية في دائرة هذا النوع من العقوبة هي كل ذنب ليس له عقوبة مقدرة شرعاً، كترك الصيام نهار رمضان بغير رخصة ولا مرض، أو تقبيل المرأة الأجنبية، أو القذف في غير الزنا أو غير ذلك. فهذه العقوبة تشرع صيانة للدين من كل رذائل.

المبحث الثالث : تكفير المعين يؤدي إلى إخراج شخص عن دائرة الإسلام

بعد أن تكلمنا عن الدين وطريقة المحافظة عليه رأينا ما أعظم اهتمام الشريعة به، فكل محاولة في إفساد الدين لا بد أن يدرأ ويدفع بقدر الإمكان، ومن ضمن ذلك إخراج مسلم عن دائرة دين الإسلام؛ لأن إخراج المسلم عن دائرة دين الإسلام قد خالف ما أراده الشارع من الحفاظ على الدين.

كما قد سبق أن ذكرنا أن التكفير هو رمي شخص بالكفر أو نسبه إلى الكفر، فلما كفر أحد أحدا فإنه بذلك قد حكم عليه بالردة، والردة كما قد ذكرنا أنها الرجوع إلى الكفر بعد الإيمان، وبالتالي الردة شأنها عظيم وليس بهين؛ لأن الردة تلزم عدم صحة جميع فعل العبادات والطاعات، و توجب فاعلها الخلود في النار، قال الله تعالى: (وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)²⁶⁵، وقال تعالى: (وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ)²⁶⁶، وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُعْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا)²⁶⁷، وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ)²⁶⁸، ثم

265 . البقرة : 217

266 . التوبة : 54

267 . النساء : 137

268 . آل عمران : 90

قال تعالى بعد هذه الآية: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ)²⁶⁹.

ثم أن الردة التي يترتب عليها التكفير المعين يقطع رابط الأخوة الإسلامية ويفضي إلى فقد حق الولاية والنصرة من المجتمع الإسلامي لأن المرتد ليس أخا لمسلم، قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)²⁷⁰، والمرتد ليس بمؤمن. وقال تعالى: (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ)²⁷¹، والمرتد كما قلنا لا تصح منه العبادات ولا الطاعات فليس أخا في الدين.

فالتكفير المعين -يعني دون الاتفات إلى توفر الشروط وانتفاء الموانع- يخالف ما أراده الشارع من الحفاظ على الدين حيث إن الطريقة من طرق المحافظة على الدين هي محاربة الردة والمرتدين كما قد بين، ومن كفر من لم يكفره الله فقد قال على الله الكذب، وقال الله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)²⁷².

وبالتالي الحكم على الرجل المسلم بخروجه عن دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا برهان أوضح من شمس النهار²⁷³. وقد ثبت في الحديث: (من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما)²⁷⁴.

واختلف أهل العلم في المراد من هذا الحديث، فقيل: معناه: فقد رجع عليه تكفيره، فليس الراجع حقيقة الكفر، بل التكفير، لكونه جعل أخاه المؤمن كافرا، فكأنه كفر

269 . آل عمران : 91

270 . الحجرات : 10

271 . التوبة : 11

272 . الأعراف : 33

273 . الروضة الندية لصديق حسن خان باب المرتد ص 586 ج 2 مكتبة الكوثر ط 6 س 1424ها- 2003 م

274 . رواه مالك

نفسه، إما لأنه كفر من هو مثله، أو لأنه كفر من لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان الإسلام، قاله النووي.

وقال المازري: (يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ إِذَا قَالَهَا مُسْتَحِلًّا فَيَكْفُرُ بِاسْتِحْلَالِهِ).

وقال النووي: (وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَأُولُ بِهِ إِلَى الْكُفْرِ، بَعْنَى أَنَّهُ يَخَافُ عَلَى الْكَثِيرِ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ عَاقِبَةُ شَوْمِهَا الْكُفْرَ وَالْمَصِيرَ إِلَيْهِ)²⁷⁵.

مهما اختلفوا في التفسير من هذا الحديث إلا أنهم اتفقوا على وجوب اجتناب تكفير المسلم بعضهم بعضاً لعظم خطورته.

والأمر لا يتوقف إلى هنا، فإنه يترتب عليه أمور أخرى التي الإسلام يكون شرطاً لصحتها في الأمور التعاملية، أي بمعنى أن مسلماً لما رمي أخاه المسلم بالكفر، فإنه بذلك قد حكم بعدم صحة هذه الأمور منه، وهذه الأمور سوف نتحدث عنها في المطالب التالية إن شاء الله تعالى.

المطلب الأول: تكفير المعين يفضي إلى عدم قبول الشهادة

الشهادة لغة بمعنى الحضور، ومنه: شهدنا صلاة العيد، وأخبر، ومنه: شهد عند الحاكم أي أخبر، والبيان، والإعلام والعلم²⁷⁶ نحو قوله تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ)²⁷⁷.

وفي الشرح الممتع: الشهادات جمع شهادة، وأصلها من شهد يشهد الشيء إذا حضره، ونظر إليها بعينه، قال الله تعالى: (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)²⁷⁸، فلا بد من علم²⁷⁹.

275 . صحيح فقه السنة

276 . أنظر معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ص 344 ، والشرح الصغير لأحمد ابن محمد الصاوي باب في الشهادة وما يتعلق بها من الأحكام ص 237 ج 4 دار

المعارف قاهرة بدون الطبع ولا السنة. وانظر الدخيرة للقرائي ص 151 ج 10 كتاب الشهادات دار الغرب الإسلامي ط 1994 م.

277 . آل عمران: 18

278 . الزخرف: 86

واصطلاحاً: قيل في أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك من كتب المالكية لأبي بركات أحمد الدردير إن الشهادة عرفاً إخبار عدل حاكماً بما علم ولو بأمر عام ليحكم بمقتضاه²⁸⁰.

وأما في البناية للعيني قيل: إن الشهادة إخبار عن صدق بلفظ الشهادة في مجلس القضاء والحكم²⁸¹.

وفي الشرح الممتع أن الشهادة: إخبار الإنسان بما على غيره لغيره بلفظ أشهد ونحوها²⁸².

وقيل في التعريفات: الشهادة في الشريعة: إخبار عن عيان بلفظ الشهادة في مجلس القاضي بحق للغير على آخر²⁸³.

وإن اختلفت العبارة ولكن المعنى واحد بأن الشهادة إخبار صدق لإثبات حق في مجلس القضاء لغيره على غيره بلفظ أشهد على خلاف في الجملة الآخرة.

والأصل في الشهادة الكتاب والسنة والإجماع. أما الكتاب فقوله تعالى: (وَأَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ)²⁸⁴.

وقال تعالى: (وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ)²⁸⁵. وقال تعالى: (وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ

(²⁸⁶). وأما السنة فما روي وائل ابن حجر أنه قال: (جاء رجل من حضرموت ورجل

من كندة إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال الحضرمي يا رسول الله إن هذا قد غلبني

279 . الشرح الممتع كتاب الشهادات ص 389 ج 15

280 . أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك لأبي البركات باب الشهادة وما يتعلق بها من الأحكام ص 237 ج 4 دار المعارف القاهرة بدون الطبع ولا السنة

281 . البناية في شرح الهداية للعيني كتاب الشهادة ص 120 ج 8 دار الفكر بيروت ط 1 س 1400ها- 1980 م.

282 . الشرح الممتع كتاب الشهادات ص 389 ج 15

283 . التريفات ص 111

284 . البقرة: 282

285 . الطلاق: 2

286 . البقرة: 282

على أرض لي كانت لأبي فقال الكندي هي أرضي في يدي أزرعها ليس له فيها حق فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم للحضرمي ألك بينة قال لا قال فلك يمينه قال يا رسول الله إن الرجل فاجر لا يبالي على ما حلف عليه وليس يتورع من شيء فقال ليس لك منه إلا ذلك فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لما أدبر أما لئن حلف على ماله ليأكله ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض²⁸⁷. ولأن الحاجة داعية إلى الشهادة لحصول التجاحد بين الناس، فوجب الرجوع إليها.²⁸⁸ وكان إجماعا كما قد ذكر.

فالشهادة أمر اهتم بها الفقهاء اهتماما كبيرا حيث إن الشهادة لها دورها الكبير في الإسلام، فلا يكاد يوجد كتاب إلف في الفقه إلا وفيه باب خاص يتحدث عن الشهادة، ولأن هناك أمور كثيرة في الشريعة تدخل الشهادة فيها وتتوقف صحتها على وجود الشهادة، ومما يدل على هذا ما نقله السيد سابق في كتابه، فقال: (وتصح الشهادة بالاستفاضة عند الشافعية في النسب، وولادة، والموت، والعتق، والولاء، والولاية، والوقف، والعزل، والنكاح، وتوابعه، والتعديل والتجريح، والوصية، والرشد، والسفح، والمملك²⁸⁹). فنفي الشهادة في حق أحد مسلم على الإطلاق يؤدي إلى الاضطراب والخرج في حياته، فإن المسلم في حين من الأحيان قد يحتاج إليها لحل مشكلته، فكل هذه تدل على أهمية الشهادة في الإسلام ومكانتها العظيمة.

الإسلام من شروط قبول الشهادة

إن لقبول الشهادة وصحتها شروطا ذكرها الفقهاء في كتبهم، إذا تخلفت الشروط أو تخلف شرط من الشروط أدى ذلك إلى عدم صحة الشهادة. و أعظم هذه الشروط هو

287 . وراه مسلم وابو داود

288 . انظر المغني ص 124 ج 14 كتاب الشهادات. وانظر المبسوط للسرخسي ص 112 ج 16 كتاب الشهادات دار المعرفة بيروت بدون الطبع ولا السنة.

289 . انظر فقه السنة ص 232 ج 4 باب الشهادة.

الإسلام فلا تقبل شهادة الكافر أبدا. وكما قد سبق أن ذكرنا أن التكفير المعين يفضي إلى إخراج مسلم من الإسلام، وبالتالي لما رمى مسلم مسلما آخر فإنه بذلك قد حكم عليه ببطان شهادته اطلاقا، ومما يدل على ذلك هو قول فقهاءنا، ومما يلي نورد أقوالهم في ذلك مع الأدلة أستدلوا بها إن شاء الله تعالى:

1. قال الكساني الحنفي رحمه الله: (ولو شهد الفاسق فردت شهادته لتهمة الفسق)²⁹⁰. ثم قال رحمه الله: (ولو شهد العبد أو الصبي أو العاقل أو الكافر على مسلم في حادثة فردت شهادته)²⁹¹.

2. قال القرافي: (قال في التنبهات: شروط الشهادة العادلة الجائزة في كل شيء ثمانية: العقل، والبلوغ، والذكورة، والحرية، والإسلام، والعدالة، وضبط الشهادة حين الأداء وحين السماع، وانعدام التهمة)²⁹². ثم قال: (المسألة الرابعة، في الكتاب: يمنع شهادة الكافر على المسلم)²⁹³.

3. قال الإمام سحنون ابن سعيد التنوخي للإمام عبد الرحمن ابن قاسم -وهما من علماء المالكية- (قلت: رأيت إذا هلك الرجل في السفر وليس معه من أهل الإسلام أحد، أتجوز شهادة أهل الكفر الذين معه إن أوصى بوصية؟. قال: لم يكن مالك يجيز شهادة أحد من أهل الكفار، لا في السفر ولا في الحضر، ولا أرى أن تجوز شهادتهم)²⁹⁴.

4. قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى فيما يفيد أهلية الشهادة: (وهي التكليف والحرية والإسلام، ولا تقبل شهادة كافر أصلا، ولا على كافر... الخ)²⁹⁵.

²⁹⁰ . بدائع الصناعاتي للكساني ص 266 ج 6 كتاب الشهادة دار الحديث ط 2 س 1406 ها- 1986 م.

²⁹¹ . المصدر السابق ص 266 ج 6

²⁹² . الدخيرة ص 151 ج 10 كتاب الشهادات

²⁹³ . المصدر السابق ص 224

²⁹⁴ . المدونة الكبرى للإمام مالك ابن أنس الأصبحي رواية الإمام سحنون ابن سعيد التنوخي عن الإمام عبد الرحمن ابن قاسم ص 21 ج 4 درا الكتب العلمية بيروت ط

1 س 1415 ها- 1994 م.

²⁹⁵ . الوجيز في فقه الإمام الشافعي للإمام الغزالي ص 248 ج 2 كتاب الشهادات دار الأرقام ابن أبي الأرقام ط 1 س 1418 ها- 1997 م.

5. قال الإمام أبو إسحاق السيرازي رحمه الله تعالى: (ولا تقبل شهادة الكافر لما روى معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لا تجوز شهادة أهل دين على أهل دين آخر إلا المسلمين، فإنهم عدول على أنفسهم وعلى غيرهم))، ولأنه إذا لم تقبل شهادة من يشهد بالزور على الآدمي فلأن لا تقبل شهادة من شهد بالزور على الله تعالى أولى... الخ) ²⁹⁶.

6. قال القاضي أبو الشجاع الأصفحاني رحمه الله تعالى: (ولا تقبل الشهادة إلا ممن اجتمعت فيه خمس خصال: الإسلام، والبلوغ، والعقل، والحرية، والعدالة). ثم قال العلامة ابن قاسم الغازي شارحا لقول أبي الشجاع: (ولا تقبل الشهادة إلا ممن - أي شخص - اجتمعت فيه خمس خصال: (الإسلام)... ولو بالتبعية، فلا تقبل شهادة كافر على مسلم أو كافر) ²⁹⁷.

7. قال الإمام ابن قدامة المقدسي الحنبلي رحمه الله تعالى: (فصل: قال القاضي: ولا بد من معرفة إسلام الشاهد، ويحصل ذلك بأحد أربعة أمور، أحدها إخباره عن نفسه أنه مسلم، أو إتيانه بكلمة الإسلام وهي شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، لأنه لو لم يكن مسلما صار مسلما بذلك. الثاني، إقرار المشهود عليه بإسلامه، لأن ذلك حق عليه. الثالث، خبرة الحاكم، لأننا اكتفينا بذلك في عدالته، فكذلك في إسلامه. الرابع بينة تقوم به) ²⁹⁸.

²⁹⁶ . المجموع شرح المهذب لنجيب المطيعي ص 21 ج 23 كتاب الشهادات مكتبة الإرشاد جدة بدون الطبع ولا السنة.

²⁹⁷ . حاشية الشيخ البيجري على فتح القريب المجيب شرح متن غاية التقريب ص 690-691 ج 2 كتاب أحكام الأفضية والشهادات ط 1 س 1328 ها- 2007

²⁹⁸ . المغني ص 46 ج 14 كتاب الشهادات.

8. قال الإمام السامري الحنبلي في المستوعب: (لا يختلف المذهب أنه يشترط في من يجوز الحكم بشهادته خمس شرائط: العقل، والإسلام، والعدالة، وانتفاء التهمة، والعلم بما يشهد به... الخ)²⁹⁹.

9. قال الجصاص: (وقوله تعالى (فتبينوا) اقتضى ذلك النهي عن قبول شهادة الفاسق مطلقا، إذ كان كل الشهادة خيرا، وكذلك سائر أخباره، فلذلك قلنا: شهادة الفاسق غير مقبولة في شيء من الحقوق... الخ)³⁰⁰، والمرتب أشد الناس فسقا. وأما الأدلة التي استدلو بها على ما قالوا منها:

1. قوله تعالى: (وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ)³⁰¹، والكافر ليس بعدل وليس منا بل هو أفسق الفساق³⁰².

2. عن ابن عباس قال: (جاء أعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ إِنِّي رَأَيْتُ الْهَيْلَالَ - قَالَ الْحَسَنُ فِي حَدِيثِهِ يَعْنِي رَمَضَانَ - فَقَالَ ((أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)) . قَالَ نَعَمْ . قَالَ ((أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ)) . قَالَ نَعَمْ . قَالَ ((يَا بَلَاءُ أَذِنَ فِي النَّاسِ فَلْيَصُومُوا عَدًّا)) .

فبالجملة إن فقهاء المذاهب قد اتفقوا على أن من شروط قبول الشهادة هو الإسلام وإن كانوا قد اختلفوا في بعض القضية كشهادة الكافر على المسلم في الوصية في السفر وشهادة الكافر بعضهم بعضا إلا أن المراد بالكافر هنا هو الكافر الأصلي وليس بالمرتد، فرمي المسلم بالكفر والردة أمر يؤدي إلى بطلان شهادة مسلم اطلاقا لأن التكفير قد نفى الإسلام في حقه.

299 . المستوعب للإمام السامري الحنبلي ص 269 ج 2 باب من يجوز الحكم بشهادته ومن لا يجوز مكتبة الأسد ط 2 س 1424 ها- 2003م.

300 . رواع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن للشيخ محمد علي الصابوني ص 454 ج 2 دار الكتب الإسلامية ط 1 س 1420 ها- 1999 م.

301 . الطلاق: 2

302 . حاشية الباجوري ص 691 ج 2

المطلب الثاني: التكفير المعين يفضي إلى فقد أهليته للولاية على غيره

وهذا من الخطورات التي يأتي بها التكفير المعين، فإن من حكم على الكفر فقد فقد أهلية للولاية لأن المرتد ليس له ولاية على غيره، وذلك لقوله تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض)³⁰³.

والمراد بالولاية هي قرابة حكومية حاصلة من العتق أو من الموالاتة، وهي قسمان:

1. ولاية عامة: وهي سلطة تدبير مصالح العامة للأمة وتصريف شؤون الناس، والأمر والنهي فيهم. وتتولى أمرها: الإمامة العظمى، وإمارات الأقاليم والبلدان، والوزارة، والقضاء، والشرطة، والمظالم، والحسبة، والإمارة على الجهاد، وجباية الصدقات، والخراج.
2. ولاية خاصة: وهي سلطة تمكن صاحبها من مباشرة العقود، وترتيب آثارها دون توقف على رضا الغير ولا نعلق لها بتدبير الأمور العامة.³⁰⁴

فالمرتد ليس له ولاية، خاصة كانت أم عامة، فلا يجوز له أن يتولى عقد تجويز بناته، ولا أبنائه الصغار - مثلاً - وتعتبر عقوده بنسبة لهم باطلة، لسلب ولايته لهم بالردة³⁰⁵.
لننظر بعض أقوال العلماء في المثال المذكور من الولاية في النكاح. إن جمهور العلماء من المالكية والشافعية³⁰⁶ والحنابلة³⁰⁷ لقد اشترطوا الولاية في صحة النكاح، وإنهم استدلوا على ذلك بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا نكاح إلا بولي وشهيدي عدل)³⁰⁸. ثم أنهم ذكروا الشروط في الولي، ومما يلي نورد من أقوالهم:

303 . التوبة : 71

304 . معجم المصطلحات والمفردات الفقهية ص500-501 ج 3

305 . انظر فقه السنة باب أحكام المرتد ص 210 ج 3

306 . انظر بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن الرشد كتاب النكاح ص8 ج 2 دار المعارف بيروت ط 6 س 1402 ها- 1982 م.

307 . انظر الكافي لابن القدامة المقدسي باب شرائط النكاح ص223 ج 4 هجر للطباعة و النشر التوزيع والإعلان ط 1 س 1418 ها- 1997م.

308 . رواه الدار قطني

1. قال ابن الرشد رحمه الله تعالى: (وأما النظر في الصفات الموجبة للولاية والسالبة لها، فإنهم اتفقوا على أن من شروط الولاية الإسلام، والبلوغ، والذكورة، وأن سوابها أضرار هذه: أعنى الكفر، والصغر، والأنوثة³⁰⁹ .
2. وقال القرابي في الولاية في النكاح: (السبب التاسع: الإسلام، وهي الولاية العامة لقوله تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض)³¹⁰ .
3. قال القاضي أبو الشجاع الأصفحاني رحمه الله تعالى: (ويفتقر الولي والشاهدان إلى ستة شرائط: الإسلام... الخ). ثم قال ابن قاسم الغازي شارحا لهذا القول: (وذكر المصنف شرط كل من الولي والشاهدين في قوله: (ويفتقر الولي والشاهدان إلى ستة شرائط)، الأول: (الإسلام)، فلا يكون ولي المرأة كافرا،... الخ)³¹¹ .
4. قال الشيخ أبو بكر ابن محمد الحسيني: (لا يجوز ولي المسلمة كافرا. قال الله تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض)، فالكافر ليس بناصر لها لاختلاف الدين، فلا يكون وليا... الخ)³¹² .
5. قال الإمام ابن قدامة في الكافي: (باب شرائط النكاح... والخامس، اتفاق الدين، فلا يلي كافر مسلمة بحال؛ لقوله تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض)³¹³ .
6. قال الشيخ محمد ابن صالح العثيمين في الشرح الممتع على زاد المستقنع للحجاوي: (الخامس: قوله: ((واتفاق الدين))، يعني أن يكون الولي والمرأة دينهما واحد، سواء كان دين الإسلام أو ليس غير دين الإسلام؛ وذلك لانقطاع الولاية بين المختلفين في الدين،

³⁰⁹ . بداية المجتهد ص 12 ج 2 .

³¹⁰ . الدخيرة ص 240 ج 4 كتاب النكاح.

³¹¹ . حاشية الشيخ البيجوري ص 199 ج 2 كتاب أحكام نكاح

³¹² . كفاية الأختيار في حل غاية الاختصار للششيخ أبي بكر ابن محمد الحسيني كتاب النكاح ص 56 ج 2 دار المعرفة بيروت ط 1 س 1421 ها- 2000 م.

³¹³ . الكافي كتاب النكاح ص 230 ج 4 .

ويدل على انقطاع الولاية أنه لا يتوارث أهل ملتين، فإذا انقطعت الصلة بالتوارث، فانقطاعها بالولاية من باب أولى³¹⁴.

وهذا في باب الولاية في النكاح، وكذلك في غيرها من سائر الولايات خاصة كانت أم عامة، كالإمامة العظمى، وإمارات الأقاليم والبلدان، والوزارة، والقضاء، والشرطة، والمظالم، والحسبة، والإمارة على الجهاد، وجباية الصدقات، والخراج، وغير ذلك، فإن التكفير المعين أبطل هذه الولايات كلها.

المطلب الثالث : التكفير المعين يفضي إلى عدم حل ذكاته

ومن الخطورات التي يؤدي إليها التكفير المعين من جانب الحفاظ على الدين أنه يفضي إلى عدم حل الذكاة.

والمراد بالذكاة لغة هو: التمام. وشرعا بمعنى: السبب الموصل لأكل الحيوان البري اختياراً³¹⁵.

والذكاة نوعان: الذبح والنحر.

والمراد بالذبح لغة يطلق على الشق، واصطلاحاً هو ما يتوصل به إلى أكل الحيوان سواء أكان قطعاً في الحلق أم في اللبة من حيوان مقدور عليه أم إزهاقاً لروح الحيوان غير المقدور عليه بإصابته في أي موضع كان من جسده بمحدد أو بجراحة معلمة. والذبح يكون فيما عدا الإبل من الحيوانات³¹⁶.

والمراد بالنحر في اللغة يطلق على الصدر وموضع القلادة، واصطلاحاً هو الطعن في اللبة، ويكون النحر في الإبل خاصة³¹⁷.

³¹⁴ . الشرح الممتع كتاب النكاح ص 75 ج 12.

³¹⁵ . انظر معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ص 105 ج 2.

³¹⁶ . صحيح فقه السنة لأبي مالك كمال ابن السيد سالم كتاب الأطعمة والأشربة وما يتعلق بها ص 357-358 ج 2 المكتبة التوفيقية بدون الطبع ولا السنة.

³¹⁷ . المصدر السابقة ص 358.

التذكية شرط لإباحة أكل الحيوان مأكول اللحم والانتفاع به من سائر الوجوه، قال الله تعالى: (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ)³¹⁸.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر وسأحدثكم عن ذلك أما السن فعظم وأما الظفر فمدى الحبشة)³¹⁹.

الإسلام أوالكتابية شرط لحل أكل الحيوان المذكي

إن الفقهاء قد وضعوا شروطا ليحل أكل الحيوان المذكي، وهذه الشروط بعضها يتعلق بالمذبوح، وبعضها بالذابح، وبعضها بألة الذبح. ومهمتنا هنا هو الإسلام والكتابية حيث إن كل واحد منهما شرط للذابح أي بمعنى أن الذابح غير مسلم أو أهل كتاب لا تحل ذبيحته، فيلزم من ذلك لما كفر أحد مسلما فإنه قد حكم على عدم حل ذبيحته فيحرم أكلها؛ لأنه قد رماه بالردة عن دين الإسلام.

نورد الآن بعض أقوال العلماء في أن الأسلام والكتابية شرط لحل أكل الذبيحة، وأن ذبيحة المرتد وغيره من أهل الكفر ليست بحلال.

1. قال ابن الرشد رحمه الله تعالى: (والمذكور في الشرع ثلاثة أصناف: صنف اتفق على جواز تذكيته، وصنف على منع ذكاته. فأما الصنف الذي اتفق على ذكاته فمن جمع خمس شروط: الإسلام، الذكورية، والبلوغ، والعقل، وترك تضييع الصلاة... ثم قال: فأما أهل الكتاب فالعلماء مجمعون على جواز ذبائحهم لقوله تعالى (الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ)³²⁰. ثم قال: وأما المرتد فإن الجمهور على أن ذبيحته لا تؤكل)³²¹.

318 . الأنعام 121.

319 . رواه البخاري .

320 . المائة: 5 .

321 . بداية المجتهد ص 449-450 ج 1 كتاب الذبائح .

2. وقال الغزالي في الوجيز: (الأول في سبب حل الذبيحة، وللذبح أربعة أركان: الأول: الذابح، وهو كل مسلم أو كتابي عاقل، ولا تحل ذبيحة المجوسي والوثني)³²².
3. ثم قال الرافعي في كتابه العزيز شارحا لقول الإمام الغزالي: (الركن الأول: الذابح، واعتبر في وصفين: أحدهما: أن يكون مسلما، أو كتابيا، ولا يحل ذبيحة المجوسي والوثني والمرتد، وغير أهل الكتاب من الكفار...)³²³.
4. وكذلك قال ابن قدامة المقدسي شارحا لقول القرافي حيث يقول (وذبيحة المرتد حرام، وإن كانت رده إلى دين أهل الكتاب) فقال: (هذا قول مالك، والشافعي، وأصحاب الرأي) ثم قال ردا على قول الأوزاعي الذي أباح ذبيحته إذا ذهب إلى دين أهل الكتاب فقال: (ولنا أنه كافر، لا يقر على دينه قلم تحل ذبيحته كالوثني؛ ولأنه لا تثبت له أحكام أهل الكتاب إذا تدين بدينهم؛ فإنه لا يقر بالجزية ولا يسترق)³²⁴. ثم قال شارحا لقول القرافي حيث قال (ولا يؤكل صيد المرتد، ولا ذبيحته، وإن تدين بدين أهل الكتاب)، فقال: (يعني ما قتله من الصيد وتدرك ذكاته. وهذا قول أكثر أهل العلم منهم الشافعي، وأبو جنيفة وأصحابه. وقال الأوزاعي وإسحاق: تباح ذبيحته إذا ذهب إلى النصرانية أو اليهودية؛ لأن من تولى قوما فهو منهم. ولنا، أنه كافر لا يقر على كفره فلم تبح ذبيحته كعبدة الأوثان، وقد مضت هذه والمسألة في باب المرتد)³²⁵.
5. قال السيد سابق في فقه السنة: (يجب في الزكاة الشرعية ما يأتي: أن يكون الذابح عاقلا، سواء كان ذكرا أم أنثى، مسلما أو كتابيا. فإذا فقد الأهلية، بأن كان سكران، أو

³²² . الوجيز في فقه الإمام الشافعي كتاب الصيد والذبايح ص 206 ج 2 .

³²³ . العزيز شرح الوجيز للإمام أبي القاسم الرافعي كتاب الصيد والذبايح ص 4-5 ج 12 دار الكتب العلمية بيروت ط 1 س 1417 ها- 1997 م.

³²⁴ . المغني كتاب الردة ص 277 ج 12

³²⁵ . المغني كتاب الصيد ص 289 ج 13

مجنونا، أو صبيا غير مميز، فإن ذبيحته لا تحل. وكذلك لا تحل ذبيحة المشرك من عبدة الأوثان، والزندق، والمرتد عن الإسلام³²⁶.

وهذا أقوال بعض الفقهاء في تحريم ذبيحة المرتد، وهذا قول جمهور العلماء، إلا أن إسحاق يقول بحل ذبيحة المرتد إن كانت رده إلى دين أهل الكتاب؛ لأنه يعطى حكمهم في حل ذبائهم، ولكن الراجح هو قول الجمهور لأن المرتد كافر لا يقر على دينه الذي ارتد إليه فلم تحل ذبيحته كالوثني ولم تثبت له أحكام أهل الكتاب إذا تدين بدينهم، فلا يقر بالجزية، ولا يسترق، ولا يصح له نكاح المرتدة³²⁷، وهذا كما قال الماوردي: (وإذا ارتدوا عن الإسلام إلى أي دين انتقلوا إليه مما يجوز أن يقر أهله عليه كاليهودية والنصرانية أو لا يجوز أن يقر أهله عليه كالزندقة والوثنية لم يجز أن يقر من ارتد إليه؛ لأن الإقرار بالحق يوجب إلزام أحكامه)³²⁸.

المطلب الرابع : تكفير المعين يفضي إلى عدم السمع والطاعة في المعروف

وجوب طاعة ولاة الأمور

إن طاعة ولاة الأمور براكا أم فاجرا في غير معصية الله واجب على كل مسلم، وإنها من أصول أهل السنة والجماعة، وهذا بناء على كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفاق السلف الصالح.

وأما الكتاب فقول الله تعالى: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)³²⁹، وولاية الأمر هم: العلماء، والولاة، والأمراء. قال الشوكاني في فتح القدير: (وأولي الأمر هم الأئمة والسلاطين والقضاة وكل من كانت له ولاية شرعية لا ولاية طاغوتية)³³⁰.

326 . فقه السنة باب الذكاة الشرعية ص 166 ج 4.

327 . انظر الأطعمة وأحكام الصيد والذبايح ل د صالح ابن فوزان ابن عبد الله الفوزان ص 148-149 مكتبة المعارف الرياض ط 1 س 1408 ها- 1988 م.

328 . الأحكام السلطانية للماوردي باب في الولاية على حروب المصالح ص 55 دار الفكر ط 1 س 1380 ها- 1960 م.

329 . النساء : 59 .

330 . فتح القدير ص 768 ج 1.

وأما السنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)³³¹.

وفي البخاري من حديث أنس مرفوعا: (اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة)³³².

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني)³³³.

وعنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك)³³⁴.

وعن أبي ذر قال: (إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبدا مجدع الأطراف)³³⁵.

وقد اتفق السلف الصالح على وجوب طاعة ولاة الأمور المسلمين في غير معصية الله تعالى³³⁶.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد استفاض وتقرر في غير هذا الموضوع ما قد أمر به صلى الله عليه وسلم من طاعة الأمراء في غير معصية الله، ومناصحتهم، والصبر عليهم، وحكمهم، وقسمهم، والغزو معهم، والصلاة خلفهم، ونحو ذلك من متابعتهم في الحسنات التي لا يقوم بها إلا هم، فإنه من باب التعاون على البر والتقوى، وما نهي عنه

331 . رواه مسلم

332 . رواه البخاري

333 . رواه البخاري

334 . رواه مسلم

335 . رواه مسلم

336 . الروضة الندية شرح الضرر البهية لمحمد صديق حسن خان كتاب الجهاد والسير من أحكام الإمامة ص 729 ج 2 مكتبة الكوثر الرياض ط 5 س 1418ها-

1997م.

من تصديقهم بكذبهم، وإعانتهم على ظلمهم وطاعتهم في معصية الله ونحو ذلك مما هو من باب التعاون على الإثم والعدوان) ³³⁷.

تحريم الخروج على الإمام المسلم

قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى: (ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يد من طاعة، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمرُوا بمعصية وندعو لهم بالصلاح والمعافاة...) ³³⁸.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: (من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية) ³³⁹.

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتله جاهلية ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاش من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه) ³⁴⁰.

وعن ابن عمر يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةِ لَقَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً) ³⁴¹.

بعد هذه الأدلة الواضحة على وجوب طاعة الأمراء و تحريم الخروج عليهم رأينا أن التكفير المعين يبطل ويسقط هذه الأدلة كلها ويلزم من ذلك أنه يفضي إلى عدم السمع والطاعة، وهذا يخالف ما كان عليه السلف الصالح، وتتولد من ذلك مفسد كثيرة حيث

³³⁷ . مجموع فتاوى ص 20-21 ج 35.

³³⁸ . شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي ص 303 دار الغد الجديد ط 1 س 1427ها-2006م.

³³⁹ . رواه البخاري باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (سترون بعدي أمورا تنكرونها)

³⁴⁰ . رواه مسلم باب وجوب ملازمة الجماعة

³⁴¹ . رواه مسلم باب وجوب ملازمة الجماعة

رأينا بعض الشباب المفتونين بتكفير ولاية الأمور يتسرعون إلى تكفير أمرائهم ويستحلون بذلك دماءهم وأعراضهم فيفعلون ما يفعلون من التفجير ظنا منهم أنهم بذلك قد جاهدوا في سبيل الله، ولا يكون ذلك إلا بسبب جهلهم بكتاب الله وسنة رسوله ومنهج أهل السنة والجماعة في المعاملة مع ولاية الأمور، فهم بذلك إلى الإفساد أقرب منهم إلى الإصلاح.

فهذه هي بعض الأمور التي صحتها تتوقف على إسلام أحد، فلما حكم على أحد بالكفر تبطل هذه الأمور في حقه، ولذلك، التسرع في الحكم على مسلم بالكفر أمر لا ينبغي لمن أمن بالله تعالى واليوم الآخر لأنه بذلك قد أدخل أخاه المسلم في الضيق حياته، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

الفصل الثاني : خطورة التكفير المعين في الحفاظ على النفس

كما قد بين أن من المقاصد الضرورية في الشريعة الإسلامية هو الحفاظ على مصلحة النفس البشرية؛ لأن الحفاظ على النفس يضمن كيان الإنسان واستمراره في هذا الكون، ولذلك وفرت الشريعة كل وسائل لحفظها ومنعت كل وسائل التي تفضي إلى إفسادها. ولذا لا ينبغي لمسلم أن يرمي أخاه المسلم بالكفر والردة استعجالاً قبل النظر في توفر شروطه وانتفاء موانعه - وهذا يحتاج إلى اجتهاد- لأن رمي المسلم بالكفر مما يفضي إلى هلاك نفسه وانعدام كيانه في هذه الدنيا، ولذلك، التجنب في مثل هذا القضية أمر ينبغي لكل مسلم ولا بد منه لا محالة.

قبل الشروع في الكلام عن خطورة التكفير المعين في الحفاظ على النفس، لتتكلّم عن النفس وطرق المحافظة عليها من جانب الوجود والعدم حتى نعلم عظم اهتمام الشريعة بها .

المبحث الأول : تعريف النفس

قبل الكلام في الحفاظ على النفس من حانبيها لتكلم عن معنى النفس أولا حتى نعرف حقيقتها.

المطلب الأول : معنى النفس لغة

النفس لغة بمعنى الروح، يقال: خرجت نفسه، وهذا الذي أراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (نفس المؤمن معلقة بدينه)³⁴². والنفس بمعنى الدم أيضا، يقال: سالت نفسه أي دمه. والنفس بمعنى الجسد³⁴³.

المطلب الثاني : معنى النفس اصطلاحا

قال الجورجاني في التعريفات: (النفس هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية وسمها الحكيم : الروح الحيوانية، فهو جوهر مشرق للبدن، فعند الموت ينقطع ضوءه عن ظاهر البدن وباطنه... الخ³⁴⁴.

فمن هذين التعريفين لغة واصطلاحا تبين أن المراد من النفس هي كل ما يكون به حياة الإنسان من الروح والدم والجسد.

المبحث الثاني : طريقة المحافظة على النفس

إن الله تعالى قد كرم بني آدم وإنه قد سخر لهم كل ما في الأرض جميعا تفضلا منه لهم على سائر المخلوقات وذلك ليس إلا لمصلحة حياتهم في هذه الدنيا لعلهم يشكرون. فالحياة كريمة والمعيشة ثمينة، فلا حق لأحد أن ينتحك حرمتها ولا يجوز له أن يعدمها إلا بوجه ما أباحه الشارع كمعط الحياة.

ولذلك حرم الشارع جريمة القتل وتوعد فاعلها توعدا شديدا وسد كل وصيلة تصيل إليها، قال الله تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَظِبَ اللَّهُ

³⁴² . رواه الترمذي باب ما جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ قَالَ نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدِينِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ

³⁴³ . انظر معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ص 431 و مختار الصحاح ص 280.

³⁴⁴ . التعريفات ص 204

عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا³⁴⁵، وأخبر تعالى أنه من قتل إنسانا كأنه قد قتل
الناس جميعا، قال تعالى: (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ
نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا
(³⁴⁶، وقال تعالى: (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله
إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها
مهانا. إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً)³⁴⁷، وقال تعالى: (وإذا الموءودة سئلت
بأي ذنب قتلت)³⁴⁸.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اجتنبوا السبع الموبقات) . فذكر قتل النفس التي حرم
الله إلا بالحق³⁴⁹. وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم أي ذنب أعظم عند الله تعالى
قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك) . قال: ثم أي قال: (أن تقتل ولدك خشية أن
يطعم معك)³⁵⁰.

فهذه هي النصص الشرعية قد بينت لنا موقف الإسلام تجاه النفس والمعتدي عليها،
وكل هذه لا تدل إلا أن الإسلام قد أعطى للنفس حقها وتكفل بحفظها ورعايتها فلا
حق لأحد أن ينزعها إلا بحقها.

المطلب الأول : طريقة المحافظة على النفس من جانب الوجود

هناك طرق عديدة أعدها الإسلام للمحافظة على النفس، ومما يلي بعض الطرق
للمحافظة عليها من جانب الوجود.

345 . النساء : 93

346 . المائدة : 32

347 . الفرقان : 68

348 . التكوير : 8

349 . رواه البخاري ومسلم

350 . رواه البخاري

1. وجوب نفقة الزوجة الحامل والمولود بعد الولادة

النفقة هي الطعام والكسوة والسكنى، وفي الروضع المربع وكذلك في المبدع هي كفاية من يمونه خبزاً، وإداماً، وكسوة، ومسكاناً وتوابعها³⁵¹، وهي واجبة بالكتاب والسنة والإجماع.

ولا يختلف اثنان من علمائنا أن نفقة الزوجة الحامل واجبة على زوجها ولو طلقت طلاقاً بائناً بينونة كبرى، وذلك لقوله تعالى: (وَإِنْ كُنَّ أَوْلَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ)³⁵²، وقال القرطبي: (لا خلاف بين العلماء في وجوب النفقة والسكنى للحامل المطلقة ثلاثاً أو أقل منهن حتى تضع حملها)³⁵³، وهذا إن كان الزوج موجوداً. وإن كان الزوج غير موجود أو قد توفي فإن أهل العلم قد اختلفوا في ذلك، فذهب علي، وابن عمر، وابن مسعود، وشريح، والنخعي، والشعبي، وحماد، وابن أبي ليلى، وسفيان، وأصحابه إلى أنه ينفق عليها من جميع المال حتى تضع. بينما ذهب ابن عباس، وابن الزبير، وجابر ابن عبد الله، ومالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابه إلى أنه لا ينفق عليها إلا من نصيبها³⁵⁴. وإن اختلفوا في ذلك إلا أنهم اتفقوا في الجملة على وجوب نفقة الحامل و ليس ذلك إلا صيانة لها وما في بطنها.

وكذلك بعد الولادة فإن النفقة تبقي واجبة على الأب، وإن كانت الزوجة مطلقة طلاقاً بائناً، فعلى الأب أن يعطيها أجره إرضاع ابنه لقوله تعالى: (فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَاتُّوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأُمَّرُوا بِبَيْنِكُمْ بِمَعْرُوفٍ)³⁵⁵، وإن أبت المطلقة الإرضاع استأجر لولده أخرى،

351 . الروض المربع للحجاوي كتاب النفقات ص 357

352 . الطلاق : 6

353 . تفسير القرطبي ص 55 ج 21

354 . المصدر السابق ص 55 ج 21

355 . الطلاق : 6

قال تعالى: (وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسَرُّضِعْ لَهُ أُخْرَى)³⁵⁶، فإن لم يقبل أجبرت أمه على الرضاع بالأجر.

وفي السنة ما دل على وجوب نفقة الولد على الأب، ففي حديث هند بنت عتبة أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: (إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم فقال (خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف)³⁵⁷. فالحديث دل على وجوب نفقة الولد على الأب لأنه لو لم تجب لما أمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأخذ مال زوجها خفية ما يكفيها وولدها. وهكذا يستمر وجوب نفقة الولد على الأب إلى أن يكون بالغاً قادراً على الكسب بنفسه. وإذا مات الأب ولم يكن للطفل مال تكن أجرة الرضاع على الوارث، وإذا لم يكن للوارث مال أجبرت الأم على إرضاعه، والنفقة على الطفل في حالة الصغر تسير على حسب ما وضع لها من قواعد ودرجات إلى أن تصل المسؤولية إلى بيت المال إن كان، وإلا على عامة المسلمين³⁵⁸.

فهذه هي الصورة العامة في ما يتعلق بوجوب النفقة في الإسلام ومن أراد المزيد من المعلومات فعليه الرجوع إلى كتب الفقه في ذلك.

2. الحضانة

الطريقة الثانية مما يعد من الطرق المحافظة على النفس هي الحضانة، والحضانة-بفتح الحاء وكسرهما- لغة مصدر حضنت الصغير حضانة أي تحملت مؤنته وتربيته، وقيل من

356 . الطلاق : 6

357 . رواه البخاري

358 . المقاصد العامة للشريعة الإسلامية د يوسف حامد عالم ص 275 الدار العالمية للكتاب الإسلامي ط 2 س 1415-1994م

الحضن-تكسر الحاء - وهو ما بين اليدين من الصدر، وإنما سميت حضانة لأن الحاضن احتضن المحضون وضمه إليه ليقوم به بما يجب³⁵⁹.

وأما شرعا قال الجورجاني في التعريفات: (الحضانة تربية الولد)³⁶⁰. وقال الشيخ ابن العثيمين في الشرح الممتع: (وهي شرعا: حفظ الطفل ونحوه عما يضره، والقيام بمصلحه)³⁶¹.

والحضانة واجبة في حق الحاضن إذا لم يوجد غيره أو وجد ولكن المحضون لم يقبل غيره؛ لأنه قد يهلك.

ففي الحضانة درو كبير وحكمة بالغة في حفظ كيان الإنسان، قال الشيخ صالح فوزان في حكمة الحضانة: (والحكمة فيها ظاهرة، ذلك أن الصغير ومن في حكمه ممن لا يعرف مصالحه كالمجنون والمعتوه يحتاج إلى من يتولاه ويحافظ عليه بجلب منافعه ودفع المضار عنه وتربيته التربية السليمة.

وقد جاءت شريعتنا بتشريع الحضانة لهؤلاء؛ رحمة لهم، ورعاية لشئوئهم، واحسانا إليهم؛ لأنهم لو تركوا لضاعوا و تضرروا، وديننا دين الرحمة والتكافل والمواساة، ينهى عن إضاعتهم، ويوجب كفالتهم، وهي حق لمحضون على قرابته، وحق للحاضن بتولي شئون قريبه كسائر الولايات³⁶².

فمن قول الشيخ تظهر أهمية الحضانة ودورها في الحفاظ على النفس وكيانها في هذه الدنيا.

3. بيان الحلال والحرام

³⁵⁹ . الشرح الممتع كتاب الحضانة ص 532 ج 13

³⁶⁰ . التعريفات ص 78

³⁶¹ . الشرح الممتع ص 532

³⁶² الملخص الفقهي كتاب الحضانة ص 631

إن من رحمة الله على خلقه إنه قد بين لهم الحلال والحرام حيث إن مبدأ الحلال والحرام يرجع إلى جلب المصالح ودفع المضار.

قال الدكتور يوسف حامد عالم في كتابه المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: (من المبادي الأساسية في نظام الشريعة الإسلامية مبدأ التحريم والإباحة، وقد تأكد هذا المبدأ باستقراء الأحكام الشرعية وفحصها، وإنها كلها شرعت لتحقيق مصلحة الإنسان إما بجلب النفع له وإما بدفع الضرر عنه)³⁶³.

ثم قال: (فما جعله الشارع مباحا مآذونا أو واجبا مفروضا على الإنسان، إما أن يكون نافعا نفعاً محضاً أو نفعه أكثر من ضرره، أو أنه محقق المنفعة لأكثر مجموعة من الناس. وما جعله الشارع حراماً أو مكروهاً، فهو لأنه شر محض، أو لأن ضرره أكبر من نفعه، أو لأنه ضار بمصلحة أكبر مجموعة من الناس)³⁶⁴.

فقد قال الله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَجِئَ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ)³⁶⁵.

وأما الحلال المحض، فمثل: أكل الطيبات من الزرع والثمار، وبهيمة الأنعام، وشرب الأشربة الطيبة، ولباس ما يحتاج إليه من القطن والكتان، والصوف، والشعر، والنكاح، والتسري، وغير ذلك إذا كان اكتسابه بعقد صحيح كالبيع والإجارة، أو بميراث، أو هبة أو غنيمة.

³⁶³ . المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ص 275

³⁶⁴ . المصدر السابق ص 275-276

³⁶⁵ . الاعراف : 157

وأما الحرام المحض فمثل: أكل المية، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل به لغير الله، وما ذبح على النصب، وشرب الخمر، وأكل مال الغير بالباطل وغير ذلك. وكل هذه لمصلحة الإنسان ودفع الضرر عنه.

ثم إن مما دل على اهتمام الشارع بهذا الجانب أنه قد جعل الحلال أكثر وأوسع من الحرام، ولذلك قال جمهور الفقهاء قاعدة: (الأصل في الأشياء الإباحة) مستدلين على ذلك بقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا)³⁶⁶، فبهذه القاعدة القيمة وهذه الآية الكريمة يكون الإنسان في رغد من حياتهم وسعة في عيشهم، فلمهم أن يتصرفوا بما شأؤو ما لم يخالفوا شرع الله عز وجل وفي حدود الله تعالى، فلا شك أن لبيان الحلال والحرام سهم كبير في المحافظة على النفس البشرية وكيانهم في الحياة.

4. الرخص الشرعية

من طرق المحافظة على النفس من جانب الوجود هي وجود الرخص الشرعية. ووالرخص جمع رخصة وهي لغة بمعنى اليسر والسهولة. وفي الشريعة هي اسم لما شرع متعلقا بالعوارض أي بما استبيح بعذر مع قيام الدليل المحرم³⁶⁷. وقال الدكتور عبد الكريم زيدان: (والرخصة اسم لما أباحه الشارع عند الضرورة تخفيفا عن المكلفين، ودفعاً للحرَج عنهم)³⁶⁸. وللرخصة أنواع:

1. إباحة المحرم عند الضرورة: كالتلفظ بكلمة الكفر مع اطمئنان القلب إذا أكره على ذلك بالقتل. ومثل ذلك أكل الميتة وشرب الخمر؛ لأن حفظ الحياة ضروري، فأباح

366 . البقرة : 29

367 . التعريفات ص 95

368 . الوجيز في أصول الفقه ص 50

الشارع الحكيم أكل الميتة عند الجوع الشديد الذي يخاف فيه تلف النفس، وكذلك شرب الخمر عند الظمأ الشديد الذي يخشى فيه الهلاك.

2. إباحة ترك الواجب، مثل: الفطر في رمضان للمسافر والمريض دفعا للمشقة.

3. تصحيح بعض العقود التي يحتاجها الناس وأن لم تجري على القواعد العامة مثل بيع السلم.

فمن هذا التنوع رأينا أن من أغراض الرخصة هو حفظ النفس البشرية، فإن الله قد شرع الرخصة لحفظ كيان الأنسان، ولذلك أخذ الرخصة قد يكون واجبا لما كانت الحال يؤدي إلى إفساد النفوس، فتعين أخذ الرخصة سبيلا لحفظ النفس ودفع الهلاك عنها؛ لأنه ليس من حق الإنسان أن يتلف نفسه فضلا عن غيره، لأن نفس الإنسان ليست ملكه حقيقة وإنما هي ملك لخالقها وهو الله تعالى.

المطلب الثاني : طريقة المحافظة على النفس من جانب العدم

بعد تكلمنا عن محافظة النفس من جانب الوجود يأتي كلامنا الآن في طرق المحافظة للنفس من جانب العدم لنعرف أن النفس في الإسلام محترمة، وأن الحياة مكرمة وليس لأحد أن ينتهك حرمتها.

فمن طرق المحافظة على النفس من جانب العدم هي:

1. تحريم العدوان عليها وسد الذرائع المؤدية إلى ذلك

مما لا نشك فيه أن الإسلام قد حرم الظلم وأن الله قد بعث رسوله إلى أهل الأرض ومن مهمته نفي الظلم بين الناس، فالظلم محرّم في الإسلام، قال تعالى: (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ

الظَّالِمِينَ³⁶⁹، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الظلم ظلمات يوم القيامة)³⁷⁰.

و من أعظم المظالم العدوان على النفس وقتلها بغير حق، فجرمة القتل محرمة بالكتاب والسنة والإجماع إلا بحقها، وهي من كبائر الذنوب بإجماع أهل العلم.

لقد وردت عديدة من الآيات القرآنية دالة على تحريم جريمة القتل وسد الذريعة المؤدية إلى ذلك، قال تعالى: (وَمَنْ يَفْتُلْ مُؤْمِنًا مَّتَعِمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَظِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا)³⁷¹، وقال تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)³⁷²، وقال تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا)³⁷³، وقال تعالى: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا)³⁷⁴، وقال تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)³⁷⁵، وقال تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)³⁷⁶.

369 . آل عمران : 57

370 . رواه البخاري

371 . النساء : 93

372 . الأنعام : 151

373 . الإسراء : 33

374 . الفرقان : 68

375 . الأنعام : 151

376 . النساء : 29

وفي السنة عديدة من الأحاديث دالة على حرمة جريمة القتل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلاّ باحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة)³⁷⁷، وقال أيضا: (أكبر الكبائر الإشرأء بالله، وقتل النفس وعقوق الوالدين، وقول الزور، أو قال وشهادة الزور)³⁷⁸، وقال أيضا: (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، وستلقون ربكم ويسألكم عن أعمالكم، فلا ترجعن بعدى كفاراً (أو ضاللاً) يضرب بعضكم رقاب بعض ألا يبلغ الشاهد الغائب...)³⁷⁹، وقال أيضا: (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق)³⁸⁰.

وقد أجمع أهل العلم على تحريم القتل إلا بالحق لما تترت عليه من المفسد الكبيرة.

2. إقامة الحدود والقصاص

إن إقامة الحدود وتنفيذ القصاص من الضمانات الكبرى الحافظة للنفس البشرية من كل عدوان، وقد أكد الله هذا المعنى في كتابه الكريم، مثل قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءِ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بِعَدْوٍ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ)³⁸¹، ثم أكد الله تعالى أن في القصاص حياة للناس، وقال تعالى: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)³⁸². وقال تعالى:

377 . رواه البخاري

378 . رواه البخاري

379 . رواه مسلم

380 . رواه الترمذي

381 . البقرة : 178

382 . البقرة : 179

(وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ
وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)³⁸³.

فهذه النصص تؤكد وتبين لنا أن النفس لها حرمتها العظيمة في الإسلام ، وأن من
مقاصد الإسلام هي صيانة للنفس البشرية، فكل وصيلة التي تؤدي إلى هلاك النفس
لا بد أن تسد ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

المبحث الثالث : التكفير المعين يؤدي إلى استباحة الدماء

ومن الوسائل التي تؤدي إلى هلاك النفس وضياعها هو التكفير المعين، لأنه من كفر
مسلمًا فقد رماه بالإرتداد من الإسلام، ومن لوازم الردة هي استباحة الدماء على إجماع
أهل العلم في ذلك. فالتكفير يخالف ما أراه الشارع وقصده من الحفاظ على النفس
البشرية.

وقد أجمع أهل العلم على أن من ارتد عن دين الإسلام فإنه يقتل، واستدلوا على ذلك
بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من بدل دينه فاقتلوه)، وقال أيضا: (لا يَجْلُ
دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثِ النَّفْسِ بِالنَّفْسِ
وَالنَّبِيِّ الرَّائِي ، وَالْمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ الْجَمَاعَةَ)، وفي الرواية (والتارك لدينه المفارق
للجماعة)، والمراد بالتارك لدينه أي المرتد.

ولحديث أبي موسى أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: (اذهب أنت يا أبا
موسى أو يا عبد الله بن قيس إلى اليمن. ثم أتبعه معاذ بن جبل فلما قدم عليه ألقى له
وسادة قال انزل وإذا رجل عنده موثق قال ما هذا ؟ قال كان يهوديا فأسلم ثم تهود قال

اجلس قال لا أجلس حتى يقتل قضاء الله ورسوله ثلاث مرات . فأمر به فقتل (384).

هذا هو بعض الأحاديث التي استدلت بها الفقهاء على وجوب قتل المرتدين.

تأكيدا على ما ذكرنا من الأحاديث نورد بعض أقوال أهل العلم في وجوب قتل المرتد وأنه حلال الدم، ومما يلي أقوالهم في ذلك.

1. قال الكساني في بدائع الصنائع: (أن للردة أحكاما كثيرة بعضها يرجع إلى نفس المرتد، وبعضها يرجع إلى ملكه، وبعضها يرجع إلى تصرفاته، وبعضها يرجع إلى ولده. أما الذي يرجع إلى نفسه فأنواع، منها إباحة دمه... الخ) (385).

2. قال العمراني في كتاب البيان في مذهب الإمام الشافعي: (وإذا ارتد رجل وجب قتله، سواء كان حرا أو عبدا؛ لما روى عثمان رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يحل دم امرئ مسلم إلا بأحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه، أوزنا بعد إحصائه، أو قتل نفسا بغير نفس) (386).

3. قال الماوردي في الأحكام السلطانية: (ومن أقام على رده ولم يتب وجب قتله رجلا كان أو امرأة) (387).

4. قال الغزالي في الوجيز: (فأما حكم الردة في نفس المرتد، وولده، وماله. فأما نفسه فيهدر إن لم يتب... الخ) (388).

5. قال محمد عبد الوهاب علي ابن نصر المالكي في كتاب المعونة على مذهب عالم المدينة: (يستتابوا المرتد ثلاثا فإن تاب قبلت توبته، وإن أبي قتل وكان ماله فيئا للمسلمين) (389).

384 . رواه البخاري

385 . بدائع الصنائع للكساني الحنفي في بيان أحكام المرتد ص 134 ج 7 دار الكتاب العربي بيروت ط 2 س 1394ها- 1974م.

386 . البيان لليحيى ابن أبي الخير ابن سالم العمراني في حكم المرتد ص 42 ج 12 دار المنهاج دون الطبع ولا السنة

387 . الاحكام السلطانية ص 55

388 . الوجيز للغزالي كتاب الجنائيات ص 165 ج 2

6. قال القيرواني في النوادر والزيادات: (من كتاب ابن سحنون: وأكثره من كتاب ابن المواز إلا قول عبد العزيز والحجة عليه، قال سحنون: قال النبي صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه، يعني بعد الاستتابة، فإن تاب ترك)³⁹⁰.

7. قال ابن قدامة المقدسي: (وأجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتدين وروي ذلك عن أبي بكر، وعثمان، وعلي، ومعاذ، وأبي موسى، وابن عباس، وخالد، وغيرهم، ولم ينكر ذلك، وكان إجماعاً)³⁹¹.

8. قال البهوتي في كشف القناع: (...وشرعا: الذي يكفر بعد إسلامه نطقاً أو اعتقاداً أو شكاً أو فعلاً ولو مميزاً فتصح رده كإسلامه، ويأتي طوعاً لا مكرهاً؛ لقوله تعالى: (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) ولو كان هازلاً لعموم قوله تعالى: (ومن يرتدد منكم عن دينه...)، وحديث ابن عباس مرفوعاً: (من بدل دينه فاقتلوه) رواه الجماعة إلا مسلماً. وأجمعوا على وجوب قتل المرتد)³⁹².

9. قال محمد صديق حسن خان في روضة الندية: (ومن ارتد عن الإسلام وليس له منعة قتل وعليه أهل العلم، إذا كان المرتد رجلاً)³⁹³.

هذا هو بعض أقوال العلماء في وجوب قتل المرتد إذا كان رجلاً وهذه الأقوال تأتي مؤكدة لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشروعية قتل المرتد.

هل تقتل المرتدة ؟

³⁸⁹ . المعونة على مذهب عالم المدينة لمحمد عبد الوهاب علي ابن نصر المالكي كتاب الجراح باب في الردة ص 294 ج 2 دار العلمية بيروت ط 1 س 1418 ها- 1998م.

³⁹⁰ . النوادر والزيادات للقيرواني كتاب الميردين ص 490 ج 14 دار الغرب الإسلامي ط 1 س 1999م.

³⁹¹ . المغني كتاب المرتد ص 264 ج 12.

³⁹² . كشف القناع للبهوتي باب حكم المرتد ص 225 ج 14 وزارة العدل المملكة العربية ط 1 س 1429 ها-2008م.

³⁹³ . الروضة الندية لمحمد صديق حسن خان باب من يستحق القتل حدا ص 584 ج 2

واختلفوا في المرتدة، قال الشافعي: تقتل. وقال أبو حنيفة: لا تقتل ولكن تحبس حتى تسلم.

قال محمد صديق حسن خان: (الأدلة الدالة على قتل المرتد عامة ولم يرد ما يقتضي تخصيصها، وأما حديث النهي عن قتل النساء فذلك إنما هو في حال الحرب، فإن النساء المشركات لا يقتلن وليس ذلك محل النزاع. ثم قد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قتل عدة نساء كاللاتي أمر بقتلهن يوم الفتح لما كان يقع منهن السب له، وكذلك قتل امرأتين من بني قريظة وغير ذلك)³⁹⁴.

وقال الماوردي في الأحكام السلطانية: (ومن أقام على رده ولم يتب وجب قتله رجلاً كان أو امرأة)³⁹⁵.

فهذه هي خطورة التكفير المعين في الحفاظ على النفس البشرية فإنه يفضي إلى استباحة دم المكفر، والدماء شأنها عظيم عند الله تعالى وليس بهين؛ ولذلك لا ينبغي لمسلم أن يتسرع في الحكم على مسلم بالكفر إلا بتوفر الشروط وانتفاع الموانع وذلك من شأن المتخصصين من العلماء في ذلك. والله أعلم.

الفصل الثالث : خطورة التكفير المعين في الحفاظ على العقل

إن العقل في الإسلام له مكانته العالية ومنزله الرفعة العظيمة، وإن الإسلام كرم العقل أيما تكريم، كرمه حين جعله مناط التكليف عند الإنسان، والذي به فضله الله على كثير ممن خلق تفضيلاً، وكرمه حين وجهه إلى النظر والتفكير في النفس، والكون، والآفاق، اتعاضاً واعتباراً، وتسخييراً لنعم الله واستفادة منها، وكرمه حين وجهه إلى الإمساك من الولوج فيما لا يحسنه، ولا يهتدي فيه إلى سبيل ما، رحمة به وإبقاء على قوته وجهده.

394 . الروضة الندية ص 584 ج 2.

395 . قد سبق

وبهذا العقل صار الإنسان خليفة الله في الأرض بحيث لا يطبق تحمل تلك المسؤولية غيره من المخلوقات ولذلك نظرا إلى تلك المكانة العظيمة والأهمية العالية للعقل جعل الإسلام وسائل وطرقا للمحافظة عليه.

المبحث الأول : تعريف العقل

وقبل الشروع في الكلام عن طرق المحافظة على العقل لنتكلم عن معنى العقل أولا حتى نعرف ماهية العقل وحقيقته.

المطلب الأول : معنى العقل لغة

العقل لغة بمعنى الحجر والنهي ضد الحمق كقوله تعالى: (هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ)³⁹⁶، قال ابن كثير في تفسيره: (أي: لذي عقل ولب وحجا ودين، وإنما سمي العقل حجراً لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال، ومنه حجراً البيت لأنه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامي. ومنه حجر اليمامة، وحجراً الحاكم على فلان: إذا منعه التصرف)³⁹⁷، ومعنى الحبس أيضا، قيل: كأنه عقل له شيء أي حبس عليه عقله و أيد وسدد. ويقال أيضا: اعتقل لسانه أي امتسك. ويقال: مرض فلان فاعتقل لسانه إذا لم يقدر على الكلام. وفي الحديث: (القرآن كالإبل المعقلة) أي المشدودة. وسمي العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي يجبسه، فالعقل هو الذي يجبس نفسه ويردها عن هواها³⁹⁸.

والعقل أيضا بمعنى الثبت، والتمييز، والفهم، وقيل عقل الشيء أي فهمه، وقلب عقول أي فهم.

396 . الفجر: 5

397 . تفسير ابن كثير ص 654 ج 4

398 . انظر لسان العرب ص 457-458 ج 11

التطلب الثاني : معنى العقل اصطلاحاً

إنّ العقل عند مصطاحات العلماء له عدة التعريفات، فسوف أقتصر على ما نقله وذكره الدكتور حسن سالم مقبل أحمد الدوسي في رسالته العقل دراسة مقاصدية في المحافظة عليه من حيث درء المفساد والمضار عنه حتى لا يكون بحثنا مطول فيخرج من مقصده الأساسي وهو بيان خطورة التكفير المعين قي الحفاظ على العقل.

قال الدكتور: (العقل في اصطلاح العلماء: اسم مشترك يطلق على عدة معانٍ، ولذلك تعددت تعريفات العلماء له من الناحية الاصطلاحية. وأهم معاني العقل التي ذكرها العلماء ثلاثة معانٍ هي: الغريزة، والعلوم الضرورية، والعلوم المكتسبة).

ثم شرع الدكتور في بيان هذه الثلاثة فقال: (فالعقل يطلق على الغريزة التي في الإنسان، والتي يمتاز بها عن سائر الحيوان، ويتهيأ بها لدرك العلوم النظرية؛ فبها يعلم، وبها يعقل، وبها يميز، وبها يقصد المنافع دون المضار. ويطلق العقل على العلوم الضرورية، التي تُلازم الإنسان العاقل؛ فتقع في نفسه ابتداءً، ولا تنفك عن ذاته؛ كالعلم بجواز الجائزات، واستحالة المستحيلات، وكالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد، وأنّ الشيء لا يخلو من وجود أو عدم، وأنّ الموجود لا يخلو من حدوثٍ أو قِدم، وأنّ من المحال اجتماع الضدّين. وهذه العلوم تشمل جميع العقلاء. فإنّ العقل مستلزمٌ لعلومٍ ضروريةٍ يقينيةٍ، وأعظمها في الفطرة الإقرار بالخالق. ويطلق العقل على العلوم المستفادة من التجارب، والمكتسبة بواسطة العقل. وهذا العقل يُعدُّ نتيجةً للعقل الغريزي، وليس لهذا حدًّا؛ لأنّه ينمو إن استعمل وينقص إن أهمل. ولقد كانت العرب تقول: "العقل: التجارب"، وسئل بعضهم عن العقل، فقال: "لُبُّ أَعْنَتِهِ بِتَجْرِبٍ" ³⁹⁹.

³⁹⁹ . العقل دراسة مقاصدية في المحافظة عليه ص 8

فهذه هي من معان العقل في الاصطلاح كما نقله الدكتور حسن سالم مقبل أحمد الدوسي في رسالته.

المبحث الثاني : طريقة المحافظة على العقل

قد سبق أن ذكرنا أن للعقل له مكانته العظيمة في الإسلام حيث إنه مناط التكليف للإنسان، ولذلك قد قيل إنه لا دين لمن لا عقل له، وإنه الذي يجعل الإنسان يتميز بغيره من سائر المخلوقات، فيدرك به الحسن والقبيح، والخير والشر، وما ينبغي أن يفعل وما لا ينبغي، وبه يفهم الإنسان كل ما شرعه الله له، فجعله الله خليفته في الأرض واختاره لتحمل مسؤوليتها.

انطلاقاً من هذا جعله الله تعالى من ضروريات الحياة التي إذا اختلت فسدت واضطربت فشرع تعالى طرقاً للمحافظة عليه والصيانة له.

قبل الشروع في الكلام عن المحافظة على العقل من جانبيه الوجود والعدم، نود أن نتكلم عن أنواع مفسدات العقل؛ لأن الكلام عن المحافظة عليه ينبغي على الكلام عنها.

المطلب الأول: أنواع مفسدات العقل

إن للعقل مفسدات متنوعة وهذه المفسدات منها ما يعود إلى مفسدات معنوية ومنها ما يعود إلى مفسدات حسية. وفي الكلام عن هذه المفسدات نعتمد على ما كتبه الدكتور حسن سالم مقبل أحمد الدوسي في رسالته العقل دراسة مقاصدية في المحافظة عليه من حيث درء المفسد والمضار عنه.

قال الدكتور: (وقد بينت هذه الدراسة أنّ الشرع الإسلامي حافظ على العقل، وصانه من كل ما يفسده معنوياً، فمنع من التشاؤم والأوهام والشعوذة والكهانة... كذلك

حافظ الشرع الإسلامي على العقل، وصانه من كل ما يفسده مادياً، فسنَّ من التشريعات ما يضمن سلامة العقل وحيويته (400).

مفسدات العقل المعنوية

والمراد بمفسدات العقل المعنوية هي كل المصادر أو المناهج التي تغذي العقل البشري بالأفكار والعقائد الفاسدة وهي قد تشمل العقائد والمعلومات والمعارف كلها، سواء أكانت دينية أم اجتماعية أو سياسية أو عسكرية أو اقتصادية.

فالعقل البشري إذا غذي بالأفكار والعقائد الفاسدة فإنه يكون ضالاً مضلاً بل يكون أخطر من العقل الخالي من المعلومات، حيث إن العقل الخالي من المعلومات يمكنه أن يقبل الحق بسهولة كالعقيدة الصحيحة والأفكار السليمة، بخلاف العقل الذي غذي بالأفكار الفاسدة والعقائد الضالة فإن قبول الحق بنسبة لهذا العقل من الصعوبة بمكان وهذا واضح في أهل الملل في العالم. وكذلك يدخل الفساد المعنوي إلى العقول بسبب البدع والخرافات وإتيان المشعوذين والكهان والسحرة، وسؤال المنجمين والعرافين وتصديقهم في أقوالهم.

فكل هذه ناتجة عن تلقي العقل لها من غير الوحي الإلهي، ونقصد بالوحي الإلهي الشريعة الإسلامية، التي هي الرسالة العامة الأخيرة، التي بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين.

مفسدات العقل الحسية

وكما حافظ الشرع الإسلامي على العقل البشري من المعاني والأفكار الفاسدة الهدامة المنحرفة، كذلك حافظ على العقل من المفسدات المادية التي تعطله أو تتلفه، والمراد بالمفسدات المادية هي كالحمر والمخدرات بكل أنواعها التي تفسد العقل

400 . العقل دراسة مقاصدية في المحافظة عليه ص 4

المطلب الثاني: طريقة المحافظة على العقل من جانب الوجود

هناك عدد من طرق للمحافظة على العقل، منها:

1. التعليم

إنه مما لا يشك عند كل مسلم أن التعليم له فضائل في الإسلام، إنه مما جعله الله من الأمور المطلوبة على كل مسلم ذكراً كان أم أنثى، وبه رفع الله درجة من يشاء من عباده، بل الله إذا أراد أن يجعل خيراً في أحد فقهه في الدين، ويجعل العلماء ورثة الأنبياء، والإنبياء لا يورثون دينارا ولا درهما وإنما يورثون العلم، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر. فالتعليم من الأمور التي يحتاج إليه العقل البشري؛ لأنه يصون العقل من كل خلل وزلة ويرشده إلى سبيل الحق والطريق المستقيم.

قال الدكتور يوسف حامد عالم: (وفائدة التعليم هي تمرين العقل على إدراك الحقائق وعمقه؛ لأن التعليم عبارة عن نقل خبرات السابقين، وأخبارهم، وقصص حياتهم، ومن ذلك تؤخذ المعارف والعبر، فالعقل البشري كما يحتاج في نموه وبقائه إلى الغذاء فإنه يحتاج أيضا إلى العلم والمعرفة وهو كالمراة كلما زاد الاهتمام بتنظيفها من الغبار والأدران كانت أحسن حالا في تأدية وظيفتها المطلوبة منها كما ينبغي)⁴⁰¹.

هناك آيات قرآنية تدل على فضائل التعليم، ومن الشواهد على فضائل التعليم من القرآن هو قوله تعالى: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط)⁴⁰². فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلت بأهل العلم وناهيك بهذا شرفاً وفضلاً وجلاءً ونبلاً.

401 . المقاصد العامة للشرعية الإسلامية ل د. يوسف حامد عالم ص 351

402 . آل عمران : 18

وقال الله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)⁴⁰³، وقال عز وجل: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)⁴⁰⁴، وقال تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء)⁴⁰⁵، وقال تعالى: (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب)⁴⁰⁶، وقال تعالى: (قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به)⁴⁰⁷.

وقال تعالى: (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون)⁴⁰⁸، وقال تعالى: (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)⁴⁰⁹، رد حكمه في الوقائع إلى استنباطهم وأحق رتبتهم برتبة الأنبياء في كشف حكم الله. هذه هي بعض الآيات القرآنية التي دلت على فضل العلم والتعلم.

وفي الحديث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)⁴¹⁰، وقال صلى الله عليه وسلم: (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ)⁴¹¹، وقال صلى الله عليه وسلم: (فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر)⁴¹²، وغيرها من الأحاديث الكثيرة التي تحثنا على طلب العلم.

403 . المجادلة : 11

404 . الزمر : 9

405 . فاطر : 28

406 . الرعد : 43

407 . النمل : 40

408 . العنكبوت : 43

409 . النساء : 83

410 . رواه البخاري

411 . رواه ابن ماجة

412 . رواه ابو داود

أما ما جاء على لسان بعض الأئمة. فقد روي عن الإمام الشافعي وأبي حنيفة أنهما قالوا: (إن لم يكن الفقهاء العاملون أولياء الله فليس لله ولي)، وقال الشافعي: (طلب العلم أفضل من صلاة النافلة)، وقال: (من طلب الدنيا فعليه بالعلم، ومن طلب الآخرة فعليه بالعلم)، وقال: (من لا يحب العلم لا خير فيه، فلا يكون بينك وبينه معرفة ولا صداقة)، وقال: (من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه نبل قدره، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن لم يصن نفسه لم ينفع علمه)⁴¹³.

فهذه هي بعض المعلومات من القرآن والحديث وأقوال بعض أهل العلم التي دلت على أن للعلم دوره الكبير في الحفاظ على العقل.

2. إعطاء الإسلام العقل قيمة عالية ومنزلة رافعة

إن من طرق الحفاظ على العقل أن الإسلام قد أعطى للعقل منزلته الرفاعة وقيّمته العالية، وذلك أن الله تعالى قد ذكر ومدح أصحاب العقول في القرآن ذكرا كثيرا، ونبه الإنسان ليتفكروا ويتدبروا تنبيها مستمرا.

ولقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم دلت على كرامة العقل وصاحبها، وتفصيل هذه الجمل كما يأتي:

1. خص الله أصحاب العقول بالمعرفة لمقاصد العبادة، والوقوف على بعض حكم التشريع، فقال سبحانه بعد أن ذكر جملة أحكام الحج: (واتقون يا أولي الألباب)⁴¹⁴. وقال عقب ذكر أحكام القصاص: (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب)⁴¹⁵.

⁴¹³ . المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ص 354

⁴¹⁴ . البقرة : 197

⁴¹⁵ . البقرة: 179

2. قصر سبحانه وتعالى الانتفاع بالذكر والموعظة على أصحاب العقول، فقال عز وجل: (وما يذكر إلا أولوا الألباب)⁴¹⁶. وقال عز وجل: (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب)⁴¹⁷. وقال عز وجل: (ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون)⁴¹⁸.

3. ذكر الله أصحاب العقول، وجمع لهم النظر في ملكوته، والتفكير في آلائه، مع دوام ذكره ومراقبته وعبادته، قال تعالى: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض) إلى قوله عز وجل: (إنك لا تخلف الميعاد)⁴¹⁹.

4. ذم الله تعالى المقلدين لآبائهم، وذلك حين ألغوا عقولهم وتنكروا لأحكامها رضاً بما كان يصنع الآباء والأجداد، قال تعالى: (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون)⁴²⁰.

وهناك آيات كثيرة سوى هذه الآيات دلت على كرامة العقل، وما ذكرت منها كفاية لتدل على اهتمام الإسلام بالمحافظة على العقل.

المطلب الثالث : طريقة المحافظة على العقل من جانب العدم

1. منع المفسدات المعنوية من الانحرافات العقائدية والفكرية
 إن من الوسيلة التي جعلها الإسلام للحفاظ على العقل هو تحريم جميع الانحرافات القائدية وسد كل طريق يوصل إليها، فالسحر، والتشائم، والتطير، والتمائم، والخرفات، والشعوذة، والكهانة منهيبة ومحرمة في الإسلام، بل كل وسيلة توصل الإنسان إلى تلك

416 . البقرة: 269

417 . يوسف: 111

418 . العنكبوت: 35

419 . آل عمران: 190-194

420 . البقرة: 170-171

الأشياء محرمة أيضا كدفن الميت داخل المسجد أو بناء المسجد على القبر مثلا؛ لأن الوسائل لها أحكم المقاصد.

فالسحر محرم، وقد عده رسول الله صلى الله عليه من الموبقات المهلكات وكبائر الذنوب، وإنه يضر ولا ينفع، وإنه يفسد الإنسان في عقله وبدنه ويفتنه في دينه، فلهذا الضرر العظيم حرم بالكتاب والسنة والإجماع.

وأما الكتاب فقال الله تعالى: (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ)⁴²¹.

وأما السنة فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اجتنبوا السبع الموبقات) . قالوا يا رسول الله وما هن؟ قال (الشرك بالله والسحر... الخ)⁴²².

وقال الذهبي في حد الساحر: (وحد الساحر القتل؛ لأنه كفر بالله أو مضارع الكفر)⁴²³. وعن بجالة ابن عبدة إنه قال: (أنا كتاب عمر رضي الله عنه قبل موته بسنة أن اقتلوا كل ساحر وساحرة)⁴²⁴.

وكذلك التشائم، والتطير، والتمائم، والحرفات، والشعوذة، والكهانة، فإن الإسلام قد حرم كل هذه الأشياء صيانة للعقول البشرية من الانحرافات الفكرية والعقائدية. فالإسلام قد

421 . البقرة: 102

422 . رواه البخاري

423 . الكبائر ص 13

424 . المصدر السابق ص 14

حرم سؤال الكاهن، والمنجمين وتصديقهم، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا: (من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة)⁴²⁵.

وعن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الطيرة شرك، الطيرة شرك، ثلاثاً، وما منا إلا، ولكن الله يذهبُهُ بالتوكل)⁴²⁶. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الرقي والتمايم والتولة شرك)⁴²⁷.

وكذلك الإسلام قد نهى عن الغلو والتطرف في العقائد والأفكار والسلوك. والمراد بالغلو هو مجاوزة الحد في الأمر المشروع، وذلك بالزيادة فيه أو المبالغة إلى الحد الذي يخرج عن الوصف الذي أراده الشارع الحكيم، أو هو تعدي ما أمر الله به⁴²⁸.

وأما التطرف هو مرادف للغلو، وهو مجاوزة حد الاعتدال والإفراط والمبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد⁴²⁹، كما تقدم.

وكل من الغلو والتطرف منهي في الإسلام لأن التطرف يخالف الوسط والعدل الذان هما سمة لدين الإسلام كما قال الله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)⁴³⁰.

إن علاج مشكلة الغلو والتطرف والعنف لابد أن يكون علاجاً عقدياً وعلمياً وتربوياً واجتماعياً، لأن هذه الأشياء القبيحة ليست إلا نتيجة الانحراف الفكري، فالدواء لا يكون إلا بما يخالفها من العقيدة الصحيحة والعلم الصحيح.

فهذه هي بعض المفسدات المعنوية للعقل التي حرمها الإسلام حفاظاً وصيانة له.

425 . رواه مسلم

426 . رواه ابو داود

427 . رواه ابن ماجه

428 . العقل دراسة مقاصدية في المحافظة عليه ص 23

429 . المصدر السابق ص 25

430 . البقرة : 143

2. منع المفسدات الحسية كالخمر والمخدرات وإقامة الحد علي شاربها
ومن طرق المحافظة على العقل من جانب العدم هو تحريم الخمر وما يقاس عليها، والمراد
بالخمر لغة الستر، و في تسمية الخمر خمرا ثلاثة أقوال:
أولا: أنها تخمر العقل أي تستره
ثانيا: أنها تخمر نفسها لئلا يقع فيها شيء يفسدها، وخصت بذلك لدواميتها تحت
الغطاء جودتها وشدة سورتها
ثالثا: لأنها تخامر العقل أي تخالطه⁴³¹
والخمر هي النبيء من ماء العنب إذا غلى واشتد وتطلق أيضا عند الجمهور على كل ما
يسكر ولو من غير العنب⁴³².
الخمر محرمة بالكتاب، والسنة، والإجماع. وأما القرآن فقوله تعالى: (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ
وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)⁴³³. وأما السنة
فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ)⁴³⁴، وقال
أيضا: (كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها
لم يتب لم يشربها في الآخرة)⁴³⁵، وقد أجمعت الأمة على تحريمها⁴³⁶.
وذهب عبد الله ابن عمرو إلى أن الخمر أكبر الكبائر⁴³⁷، وذلك لما يترتب على شربها
من مفسد كثيرة كالزنى، والقتل، والسرقه وغير ذلك من الأضرار الروحية والعقلية والبدنية

431 . معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ص 55 - 56

432 . المصدر السابق ص 56

433 . المائدة : 90

434 . رواه النسائي

435 . رواه مسلم

436 . المغني كتاب الأشربة ص 493 ج 12

437 . الكبائر للذهبي ص 67 ديناميكا بركة أوتاما جاكارتا دون الطبع ولا السنة

والاجتماعية التي تنشأ بسبب تعاطيها، وذلك ناتجة لما يكون من فساد العقل؛ فلا غرابة لو يقال أنها أم الخبائث.

فدراً لهذه المفاسد العظيمة من الخمر شرع الله الحد لشارب الخمر، فمن شربها قل أو كثر وهو مختار ويعلم أن كثيرها مسكر جلد أربعين جلدة لحديث علي رضي الله عنه أنه جلد الوليد ابن عقبة أربعين، ثم قال: (جلد النبي صلى الله عليه و سلم أربعين و جلد أبو بكر أربعين و عمر ثمانين وكل سنة وهذا أحب إلي)⁴³⁸. وأما ماروي عن عمر رضي الله عنه أنه كان يجلد ثمانين فإنه يحمل على التعزير⁴³⁹.

وكذلك بالنسبة للمخدرات المنتشرة في يومنا فإنها محرمة قياساً على الخمر بالجمع أنهما يسكران العقل، والمراد بالمخدرات هي كل مادة خام من مصدر طبيعي أو مشيدة كيميائياً، تحتوي على مواد مثبطة أو منشطة، يؤدي تعاطيها إلى حالة تخدير كلي أو جزئي، مع فقد الوعي أو دونه، أو تعطيل أو تغيير الإحساس في الجهاز العصبي لدى الإنسان، أو تؤدي إلى النعاس أو النوم، أو تعطي شعوراً كاذباً بالنشوة والسعادة، مع الهروب من عالم الواقع إلى عالم الخيال لاحتواء هذه المادة على جواهر مضعفة أو مسكنة أو منبهة، من شأنها إذا استخدمت في غير الأغراض الطبية والصناعية الموجهة أن تؤدي إلى حالة من التعود والإدمان عليها من قبل المتعاطي بغير استشارة الطبيب المختص، مما يضر به جسماً ونفسياً واجتماعياً⁴⁴⁰.

بناء على هذا الضرر قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وأما الحشيشة الملعونة المسكرة فهي بمنزلة غيرها من المسكرات، والمسكر منها حرام باتفاق العلماء، بل كل ما يزيل العقل فإنه يجرم أكله ولو لم يكن مسكراً كالبنج، فإن المسكر يجب فيه الحد، وغير

438 . رواه مسلم

439 . المغني ص 499 ج 12

440 . العقل دراسة مقاصدية في المحافظة عليه ص 40

المسكر يجب فيه التعزير)⁴⁴¹. فمن أراد المزيد في المعلومات في المخدرات وأحكامها فليرجع إلى الكتاب العقل دراسية مقاصدية في المحافظة عليه للدكتور حسن سالم مقبل أحمد الدوسي.

المبحث الثالث : التكفير المعين من المفاسد العقلية

كما قد سبق أن ذكرنا أن مفسدات العقل نوعان: المفسدات المعنوية والمفسدات الحسية، فمفسدات العقل المعنوية هي جميع العقائد والأفكار المنحرفة عن منهج الحق والطريق المستقيم - كما قد ذكرنا بعضها - ويجعل صاحبها مضطربا عقلا ومنحرفا عقيدة فيضل ويضل، فيهلك ويهلك غيره.

والثاني وهي مفسدات العقل الحسية فهي كل مود التي تفسد العقل حسيا كالخمر والمخدرات، فهي خطيرة على العقل لأنها أم الخبائث كما يقال حيث إنها تكون ذريعة بل وسيلة لغيرها من المعاصي التي قد تكون أكبر منها وأشد وأقبح.

وإن كانتا تفسدان العقول البشرية إلا أنني رأيت أن الأولى أشد وأكبر خطورة وضرا من الثانية؛ لأنها وسيلة الشرك بالله بل هي نفس الشرك بالله، والشرك أكبر الكبائر وأعظم المظالم على الإطلاق، وإن الله لا يغفر أن يشرك به كما قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا)⁴⁴²،

وقال تعالى: (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)⁴⁴³

وكذلك بالنسبة للأفكار المنحرفة فإن ضررها عظيم، حيث إنه لا ينحصر على نفسه بل يتعدى على غيره، فكم من مفسدة وقعت كقتل الإبرياء، والتفجيرات وتدمير الممتلكات

441 . الموسوعة الفقهية الميسرة ص 23 ج 6

442 . الانساء 48

443 . لقمان : 13

وغيرها فإنها ليست إلا نتيجة الانحراف في الأفكار والعقائد، ورأيت أن فكرة التكفير من هذا القبيل.

المطلب الأول: فكرة التكفير من مفسدات العقل المعنوية

فكرة التكفير هي الفكرة التي تفتن عقائد وأفكار بعض شباب المسلمين قديماً وحديثاً، وإنهم ليسوا إلا كما قال رسول الله في الخوارج " حدثاء الأثنان سفهاء الأحلام"، وذلك ليس إلا نتيجة الحماسة العالية الخالية عن العلم والهدى، وهي نوع من أنواع الانحرافات الفكرية، والغلو، والتطرف في الدين الذي ذمه الإسلام، لقول الله تعالى ذمنا على أهل الكتاب: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)⁴⁴⁴.

قال الدكتور حسن سالم مقبل أحمد الدوسي: (إن الانحراف الفكري والغلو والتطرف والعنف ينتج عنه خلل في البناء الفكري، ولذلك كانت له آثار خطيرة في الممارسة السياسية عموماً، وفي التاريخ الإسلامي خصوصاً، فلقد ارتبطت بالموقف من النظام السياسي والقيادة السياسية، وعرفت فقهاً بقضية الخروج على الحكام وتكفير المجتمع، وكانت قضية الإمامة هي المركز الذي استقطب أصحاب هذا الفكر في أول خلاف سياسي في تاريخ الإسلام. وقد لحق بالمسلمين من هذه الظواهر السلبية (التطرف والغلو والعنف) أذى كثيراً في وقت مبكر، مثلما لحق بالخلفاء الراشدين -رضي الله عنهم- فكان مقتل الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد أبي لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة، ثم كان مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه من طرف بعض الغلاة المتأولة -الذين حرّضهم اليهودي عبد الله بن سبأ- تأولوا في شأنه

الحق بالباطل والباطل بالحق، ثم كان مقتل الخليفة الرابع علي رضي الله عنه بسبب الغلو المرهب من بعض الخوارج (445).

فلا يخفى لنا أن فكرة التكفير لها خطورتها في إفساد العقل البشري وذلك يظهر من خلال الفساد الكبير الذي ينتج عنها، وأكبر الجريمة التي تنتج عن هذه الفكرة الشنيعة هي جريمة الإرهاب.

فالإرهاب مشكلة التي لا يعانيتها العالم الإسلامي فقط وإنما أصبح مشكلة عالمية أي أنه ظاهرة عالمية التي عانت منها كثير من المجتمعات الكافرة والمسلمة، ذلك أن الإرهابيين يرتكبون فظيع الجرائم، وكبائر الذنوب عندما يُقدمون على قتل الأبرياء وتدمير الممتلكات وهدم المقدرات بوحشية لا مثيل لها في التاريخ.

قال الدكتور عادل العبد الجبار: (الإرهاب شرُّ كلِّه، وخرابٌ آثاره، وأحزانٌ ويلاتُه، وفساد تبعاته فالإرهابي مُنحرفُ التفكير، مريضُ النفس، شارِدُ الذهن، متدني الأخلاق، مزاجي متسخط، مهزومُ الشخصية، سليطُ اللسان كذوبٌ على أمتِه، حاسدٌ نجاحاتها، كاره سموها وعلو شرفها) (446).

فهناك وثيقة قوية بين فكرة التكفير والإرهابية، بل قيل إن التكفير غذاء للإرهاب، كيف لا، والتاريخ قد شهد وسجل ما فعله التكفيريون من استباحة دماء المسلمين وأموالهم عبر قرون، بداية من أفكار الخوارج الشنيعة التي حكمت على مرتكب الكبيرة بالكفر، وأوجبت الخروج على الأئمة إذا وقعوا في معصية باعتبارهم كفارا انطلاقاً من تكفيرهم مرتكب الكبيرة. ففعلوا ما فعلوا ضد الخليفة الرابعة علي ابن أبي طالب حتى ينتهي بمقتله رضي الله عنه بالدعوى أنه قد حكم بغير ما أنزل الله حينما يقبل التحكيم في معركة الصفين التي وقعت بينه وبين معاوية

445 . العقل دراسة مقاصدية والحفاظ عليه ص 22

446 . الإرهاب في ميزان الشريعة الدكتور عادل العبد الجبار ص 3

ابن ابي صفيان، وأخذوا يستحلون دماء المسلمين وأموالهم، ويقطعون الطرق ويعتدون على الناس.

وفي عصرنا الحاضر ظهرت جماعات تتبنى أفكار الخوارج وتعتنق مبادئهم ومن أشهرها جماعة التكفير والهجرة التي ظهرت في مصر، والتي أطلقت حكم التكفير على الحكام؛ لأنهم لا يحكمون بما أنزل الله من غير تفصيل، وعلى المحكومين؛ لأنهم رضوا بذلك، وعلى العلماء لأنهم لم يكفروا أولئك، كما أنهم يكفرون كل من لم ينضم إلي جماعتهم، أما من انضم إليهم ثم تركهم فهو مرتد حلال الدم⁴⁴⁷. وذكر جماعة التكفير هنا على سبيل المثال فقط لا على سبيل الحصر، وإلا فهناك عديدة من الجماعات في كل أنحاء العالم التي جعلت التكفير كفكرتها الأساسية، فينبغي لكل مسلم المراعاة لمثل هذه القضية حتى يجتنب كل الأفكار والعقائد التي تستطيع أن تفسد عقله وهو قد لا يشعر بذلك.

فظهر لنا غاية الظهور أن فكرة التكفير لها دورها الكبير في إفساد العقول البشرية إفسادا معنويا، فهذا من خطورة التكفير في الحفاظ على العقل البشري.

المطلب الثاني: التكفير المعين إنزال الإنسان منزلة البهائم

لقد كرم الله الإنسان في البر والبحر ورفع درجته فوق درجة غيره من المخلوقات وحمله مسؤولية الخلافة في الأرض بما لديه من قوة العقل وإن كان كثير من الناس لا يعلمون، فيهبطون أنفسهم ويضعونها في أدنى درجات بما كانوا يكفرون. قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)⁴⁴⁸. فشأن المسلم أرفع وأعلى؛ لأنهم بجانب ما قد أعطاهم الله من قوة العقل

447 . عقيدة أهل السنة والجماعة على ضوء الكتاب والسنة للدكتور أحمد ابن سعد ابن حمدان القحطاني ص 440

448 . الإسراء 70

فإن الله قد كرمهم أيضا بما أنزله من دين الإسلام فتزداد كرمتهم ونورهم، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الإسلام يعلو ولا يعلى)⁴⁴⁹.

بناء على هذا فلا ينبغي لأي أحد أن ينزل مسلما في غير منزلة التي أنزله الله فيه؛ لأنه بذلك قد خالف ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى وقصده من رفع شأن المسلم إلا أن يكون عنده برهان من الله وحجة لا شبهة فيها.

وبيان ذلك أن مسلما لما كفر أخاه مسلما فإنه بذلك قد نفى عنه العقل، كيف يكون ذلك؟، فالجواب: لأن الكفار لا يعقلون.

فهناك كثيرة من الآيات القرآنية تدل على أن الكفار لا يعقلون، ومما يلي من الآيات:
1. قال الله تعالى: (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)⁴⁵⁰.

2. وقال الله تعالى: (مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)⁴⁵¹.

3. وقال تعالى: (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ)⁴⁵²

4. وقال تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ)⁴⁵³. هذه هي بعض الآيات دالت على أن الكفار لا يعقلون.

ولكن هناك سؤال، كيف يكون الكفار لا يعقلون وهم الذين يصنعون الأجهزة الإلكترونية ولهم تفكير ذكي وفذ؟.

449 . رواه البخاري

450 . البقرة : 171

451 . المائدة : 103

452 . الأنفال : 22

453 . يونس : 42

والجواب : إن الكفار يصنعون الأجهزة الإلكترونية بدماعهم لا بعقلهم والدماغ ليس محلاً للعقل لأن محل العقل هو القلب كما قال الله تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)⁴⁵⁴.

قال العلامة الشنقطي شارحاً للآية: (والآية تدل على أن محل العقل: في القلب ومحل السمع في الأذن، فما يزعم الفلاسفة من أن محل العقل الدماغ باطل، كما أوضح في غير هذا الموضوع، وكذلك قول من زعم أن العقل لا مركز له أصلاً في الإنسان، لأنه زماني فقط لا مكاني فهو بغاية السقوط والبطلان كما ترى)⁴⁵⁵.

وقوله تعالى: (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا)⁴⁵⁶، والمراد بالعمي هو عمي القلب لا عمي العين بدليل قوله تعالى: (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)⁴⁵⁷.

فنتيجة الكفر أصبحت قلوب الكفار عمياء عن تمييز كل حق، فالعقل عبارة عن نور قذفه الله في قلب من يشاء من عباده يميز به بين الحق والباطل، وهذا النور يختلف درجته في كل عبد باختلاف حبه لله وتقواه له وخوفه منه، فمن كان حبه وتقواه وخوفه أكثر كان عقله أنور.

وأما الكفار فإن قلوبهم محجوبة من النور الإلهي بسبب ما كانوا يكسبون من المعاصي، قال الله تعالى: (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)⁴⁵⁸، فارتكابهم للذنوب والمعاصي تران قلوبهم وتصير عليها غشاوة وظلمات تطفئ أنوار العقل بقلوبهم، فالنتيجة

454 . الحج 46

455 . أضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقطي ص 780 ج 5

456 . الإسراء : 72

457 . انظر أضواء البيان ص 780 ج 5

458 . المطففين : 14

من ذلك أنهم يعيشون عيش البهائم بل أضل منها كما قال تعالى: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ)⁴⁵⁹، وقال تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ)⁴⁶⁰.

فيتضح ويتبين بتلك الأدلة الواضحة لمن لديه عقل أن التكفير إنزال مسلم عاقل منزلة البهائم التي لا يعقل وهذا قطعاً يخالف مراد الله تعالى في المسلم حيث إنه تعالى قد جعل المسلم مكرماً بما أعطاه الله من العقل والدين كما تقدم. فليترك الله مسلم في عرض أخيه المسلم، فكما أنه لا يجب أن تنتحك حرمة فلا ينتحك حرمة أخيه، فتنبه.

الفصل الرابع : خطورة تكفير المعين في الحفاظ على النسل

خلق الله تعالى البشر من نفس واحدة ثم خلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً عن طريق التناسل والتوالد ثم جعلهم الله القبائل والشعوب لتعارفوا وجعل معيار الكرامة والتفضيل هو التقوى، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)⁴⁶¹.

يعتبر الزواج ضرورة إنسانية لحفظ النوع، وخلود الأثار، وبقاء الحياة على الأرض واستعمارها، قال تعالى: (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)⁴⁶²، وتحقيق الخلافة فيها، قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ)⁴⁶³، والعمارة والاستخلاف لا

459 . الأعراف : 179

460 . محمد : 12

461 . الحجرات : 14

462 . هود : 61

463 . الأنعام: 165

تتحقق بفرد واحد مهما أوتي من قوة ومكانة، وإنما تتحققان بالكثرة، فكان لا بد من الزواج والتوالد ليكثر النوع.

قال الدكتور يوسف حامد العالم: (الزواج سنة الله في عباده وآية من آياته لقد وضع الله سبحانه وتعالى في الذكر والأنثى دوافع طبيعية ونوازع فطرية تكفل للنوع الإنساني البقاء والاستمرار، وعزز تلك الدوافع والنوازع بالضوابط والقواعد التي تكفل للنسل أحسن السبل، وأسلم الطرق، وأكرمها في الوجود والاستمرار، فالحاجة الفطرية المتبدلة بين الرجل والمرأة أوجبت إرباطا بينهما)⁴⁶⁴.

فالنسل هو مقوم من مقومات المجتمع والأمة، فإهمال هذا المقصد يؤدي إلى مفسد عظيمة كاختلاط الأنساب، وانتهاك الأعراض، وانتشار الفساد الخلقي، وحلول المصائب والكوارث والمحن.

نظرا إلى اهتمام الإسلام بقضية النسل فلا ينبغي لأي أحد أن يفعل ما يستطيع أن يفسده بأي طريقة كان، فكل طريق التي تؤدي إلى إفساد هذا المقصد لابد أن يسد ما استطاع، ومن المفسدات للنسل هو التكفير.

المبحث الأول : تعريف النسل

قبل الشروع في الكلام عن المحافظة على النسل وخطورة التكفير عليها، علينا أن نعرف حقيقة النسل أولا.

المطلب الأول : معنى النسل لغة

قيل في لسان العرب إن النسل لغة بمعنى الخلق، وكذلك بمعنى الولد والذرية، والجمع أنسال، وتناسل بنو فلان إذا كثروا أولادهم، وتناسلوا أي ولد بعضهم بعضا⁴⁶⁵. وفي

464 . المقاصد العامة للشرعية الإسلامية ص 394

465 . لسان العرب ص 660 ج 11

مصباح المنير النسل الولد ونسل نسلا من باب ضرب كثر نسله ويتعدى إلى مفعول
فيقال نسلت الولد نسلا أي ولدته وتناسلوا توالدوا⁴⁶⁶.

فعرفنا أن معنى النسل عند أهل اللغة يدور حول الولد والذرية.

إلا أن الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق قال: (ولا نعني بكلمة النسل هنا - يعنى الذي
يكون مقوما للمجتمع - مجرد الولادة والإنسال، لأن للإنسان ميزة خاصة عن سائر
الحيوانات في النسل وهو صلة القرى التي تسمى في الشريعة بالأرحام، فالأبوة، والبنوة،
والأخوة، والأمومة، والعمومة، والختولة... هذه الصلات التي تقوم بين الأبناء الصغيرة
والعائلة الكبيرة، ثم القبيلة، ثم الشعب، هي التي يتوقف عليها وجود أمة صالحة يترابط
أفرادها)⁴⁶⁷. فالنسل بنسبة لبي آدم له معنى أرفع من النسل بنسبة لبقية المخلوقات.

المبحث الثاني : طريقة المحافظة على النسل

والآن لننظر إلى طريقة المحافظة على النسل في الشريعة الإسلامية حتى نعرف أن الإسلام
قد أعطى للنسل حقه ومكانته فنكرمه بأن نجتنب كل شيء يفسده ويتلفه.

المطلب الأول : طريقة المحافظة على النسل من جانب الوجود

1. الحث على ما يؤدي إلى استمراره وهو النكاح

النكاح لغة الضم والجمع ويطلق على العقد والوطء⁴⁶⁸. وفي الشرع فهو أن يعقد على
امرأة بقصد الإستمتاع بها، وحصول الولد، وغير ذلك من مصالح النكاح⁴⁶⁹.

466 . المصباح المنير ص 230-231

467 . المقاصد العامة للشريعة الإسلامية لعبد الرحمن عبد الخالق ص 44 مكتبة الصحوة الإسلامية ط 1 س 1405ها- 1985 م

468 . معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ص 439 ج 3

469 . الشهر المتع كتاب النكاح ص 5 ج 12

والأصل في مشروعية النكاح الكتاب والسنة والإجماع، أما الكتاب فقوله تعالى: (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ)⁴⁷¹.

وأما السنة فقول النبي صلى الله عليه وسلم: (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتِطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ ، وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ)⁴⁷². وأما الإجماع فقد أجمع المسلمون على أن النكاح مشروع⁴⁷³.

لقد رغب الإسلام في الزواج وحث عليه بصور متعددة، فتارة يذكر أنه من سنن الأنبياء وهدى المرسلين، قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً)⁴⁷⁴.

وتارة يذكره في معرض الامتنان، قال تعالى: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ)⁴⁷⁵.

وتارة يتحدث عن كونه آية من آيات الله، قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)⁴⁷⁶.

وللزواج حكم كثيرة ذكرها العلماء، ومنها: كسر الشهوات، وغض البصر، وتحصين الفرج، وإعفاف النساء، وعدم ذبوع الفاحشة في المسلمين، وتكثير النسل الذي به تتم مباحات النبي صلى الله عليه وسلم سائر الأنبياء والأمم، وإيجاد الولد الذي ينتفع — بعد

470 . النساء : 3

471 . النور : 32

472 . رواه البخاري ومسلم

473 . المغني كتاب النكاح ص 340 ج 9

474 . الرعد : 38

475 . النحل : 72

476 . الروم : 21

الموت – بدعائه، وإيجاد الذرية المؤمنة التي تذب عن ديار المسلمين وتستغفر للمؤمنين وغير ذلك من الحكم الكثيرة⁴⁷⁷.

ولقد قسم بعض العلماء مقصد الزواج إلى قسمين: مقصد أصلي، ومقصد تبعي. وأما المقصد الأصلي من الزواج فهو يتمثل في المحافظة على النسل وحفظه من الإنقطاع، وما عداه مما يقصده الإنسان من منافع الزواج يعتبر من المقاصد التبعية المكملة للمقصد الأصلي⁴⁷⁸.

فالولد أو الذرية هي المقصد الأصلي أو الغرض الأول من مشروعية الزواج، ويقصد من ذلك هو بقاء النسل وأن لا يخلو العالم عن حنس الإنسان. و لذلك حرم الله تعالى قتل الأولاد ووآد البنات لما فيه من منع الوجود، قال تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ)⁴⁷⁹، وقال تعالى: (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)⁴⁸⁰.

فمن هذه الأدلة وأقوال العلماء في الزواج علمنا أن الزواج أو النكاح هو أحد الطرق للمحافظة على النسل من جانب الوجود.

2. الإلزام بالأخلاق الكريمة مثل الحياء والحجاب

البحث الأخلاقي يعتبر من أهم الأبحاث في الإسلام، ويعتبر من أهم دعوة الأنبياء والمرسلين، قال الله تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ)⁴⁸¹، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّمَا بَعِثْتُ لَأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ)⁴⁸²، فالغرض من بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو إتمام الأخلاق، والعمل على تقويمها، وإشاعة مكارمها، بل الهدف من

477 . انظر صحيح فقه السنة كتاب الزواج ص 74 ج 3

478 . المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ص 403

479 . الأنعام : 151

480 . التكوير : 9-10

481 . القلم : 4

482 . رواه الحاكم

كل الرسائل هدف أخلاقي، والدين نفسه هو حسن الخلق، فلولا أخلاق، لما قههم
الناس الدين ولما استقامت دنياهم كما قال الشاعر:
وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت***فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
فلا يعتبر الإنسان إنساناً إلا بأخلاقه لأن من أهداف الأخلاق رفع درجة الإنسان، فلولا
الأخلاق لأصبح الإنسان حيواناً. ربما يكون متمدناً في الظاهر، إلا أنه لا يقوم له شيء،
ولا يميز بين الحلال والحرام، ولا بين الظلم والعدل وغير ذلك.
فلأخلاق درجة رافعة ومكانة عظيمة، فلما لها أهمية نجدتها ذات علاقة بجانب العقيدة
حيث ربط الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بين الإيمان وحسن الخلق، ففي
الحديث لقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي المؤمنين أفضل إيماناً؟، قال صلى
الله عليه وسلم: (أحسنهم أخلاقاً)⁴⁸³.

وكما نجد الصلة بين الأخلاق والإيمان وكذلك نجد الصلة بين الأخلاق والعبادة، قال
تعالى: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)⁴⁸⁴، وكذلك في
المعاملات كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما
يحب لنفسه)⁴⁸⁵.

فلأخلاق لها دورها الكبير في الحفاظ على النسل -الذي هو صدد كلامنا- كالحياة
مثلاً، فالحياة يلاعب دوراً كبيراً في الحفاظ على النسل لأنه كالحصن الذي يمنع بين
الإنسان ومعصية الله تعالى، فمن يستحي من الله فلا يعيصيه، فلا يتجرأ الإنسان على
فعل الزنى - الذي هو من مفسدات النسل - مثلاً؛ لأنه يراقب الله ويعتقد أن الله يبصره

483 . رواه الطبراني

484 . العنكبوت : 45

485 . رواه البخاري

فيستحي منه، ولذلك عد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء من الإيمان، فقال: (والحياء من الإيمان)⁴⁸⁶.

فالأخلاق في الإسلام عبارة عن المبادي والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على وجه الأكمل والأتم.

ومن الإخلاق التي ذات صلة قوية ودور كبير في الحفاظ على النسل هو الإحتجاب، وأقصد بالحياء هنا ما تلبسه المرأة لتستر عورتها من نظر الرجل الأجنبي الذي لا يحل لها. لقد أوجب الله تعالى الحجاب على النساء بقوله: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا)⁴⁸⁷.

فالحجاب يحفظ العرض ويدفع أسباب الريبة، والفتنة، والفساد، ويدعوا إلى طهارة القلوب، كما قال تعالى: (ذَلِكَمُ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ)⁴⁸⁸، ويقطع الأطماع والخواطر الشيطانية، ويمنع نفوذ التبرج، والسفور، والاختلاط، فهو حصانة ضد الزنى والإباحية، فتبين لنا بهذه الحكم أن الحجاب طريق من طرق الحفاظ على النسل.

المطلب الثاني : طريقة المحافظة على النسل من جانب العدم

وأما الطرق للمحافظة على النسل من جانب العدم منها:

1. تحريم الزنى وتقرير الحد عليه

486 . رواه البخاري

487 . الأحزاب : 59

488 . الأحزاب : 53

الزنى لغة بمعنى الفجور⁴⁸⁹. واصطلاحاً فقد عرفته الشافعية بأنه إيلاج حشفة أو قدرها في فرج محرم في عينه مشتهدى طبعاً بلا شبهة⁴⁹⁰.

والزنى محرم بالكتاب والسنة والإجماع، فأما الكتاب فقوله تعالى: (وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا)، وقال تعالى: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا)⁴⁹¹.

وأما السنة فقد روى عبد الله ابن مسعود فقال: سألت النبي صلى الله عليه و سلم أي الذنب أعظم عند الله؟ قال ((أن تجعل لله ندا وهو خلقك)) . قلت إن ذلك لعظيم قلت ثم أي؟ قال ((وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك)) . قلت ثم أي؟ قال ((أن تزاني حليلة جارك))⁴⁹².

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي قال: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)⁴⁹³، ومعناه: لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان.

وأما الإجماع فلا خلاف بين المسلمين في أن الزنى محرم قطعاً، وتحريمه مما علم من الدين بالضرورة⁴⁹⁴.

فالزنى من أعظم الجرائم، وأقبح المعاصي، وكبائر الذنوب، ولذلك حرّمه الشارع تحريماً مؤكداً لما فيه من رذائل الأخلاق والفساد الكبير من اختلاط الأنساب الذي ييطل بسببه التعارف والتناصر على الحق، وهلاك الحرث والنسل، وانتشار الأمراض المعدية، وانتشار جرائم القتل وكثرتها، وسلب كرامة المرأة، وضياع التوارث بين أهله، وغير ذلك مما لا يخفى على ذي عقل وقلب سليم.

489 . معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ص 212 ج 2

490 . المصدر السابق ص 212

491 . الفرقان : 68

492 . رواه البخاري

493 . رواه البخاري

494 . انظر صحيح فقه السنة ص 23 ج 4

والزنى يفسد حياة فاعله ذكرا كان أم أنثى، وإنه يخسر شرفه وشرف أهله، ويسيء إلى سمعته وسمع أهله. وإذا كان فاعل الزنى امرأة مثلا وهي متزوجة، فإنها قد أفسدت فراش زوجها، وربما أدخلت عليه أولادا من الزنى، فتغش بهم زوجها وينفق عليهم طوال حياته ويرثونه من بعد موته وينتسبون إليه وهم ليسوا من أولاده.

ولما كان للزنى من هذه الفضائح رتب الله عليه الحد الصارم من الرجم والجلد والتغريب ليحصل بذلك الردع عن ارتكابه.

حد الزنى

لا خلاف بين أهل العلم في أن من ارتكب الزنى فعليه الحد إذا كان الزاني بالغا عاقلا عالما بالتحريم غير مكره.

وإذا كان الزاني محصنا مكلفا - وهو من وطئ امرأته المسلمة بنكاح صحيح وهما بالغا عاقلا حران - فرجم بالحجارة حتى يموت، رجلا كان أم امرأة في قول أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء ولم يخالف في ذلك إلا الخوارج.⁴⁹⁵

والدليل على ذلك هو ما قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رجم ماعزا والإمرأة الغامضية لما زنيا حتى ماتا⁴⁹⁶.

وأما إن لم يكن محصنا فعليه جلد مائة وتغريب عام، لقوله تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشْهَدَ عِدَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ)⁴⁹⁷. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة)⁴⁹⁸.

⁴⁹⁵ . انظر الملخص الفقه ص 798 وانظر أيضا المغني ص 309 ج 12 وانظر أيضا العدة شرح العمدة لعبد الرحمن ابن ابراهيم المقدسي ص 541 المكتبة العصرية س

1417 ها- 1997 م

⁴⁹⁶ . رواه مسلم

⁴⁹⁷ . النور : 2

⁴⁹⁸ . رواه مسلم

وجلد الزنى هو أشد الجلد؛ لأنه أكثر عددا، وهذا دال على أن الزنى أمره عظيم لما فيه من المفسد الكبيرة كما قد ذكر، وتضييع النسل منها، فشرع الحد في الزنى ومن أهدافها هي المحافظة على النسل.

2. تحريم القذف وتقرير الحد عليه

و الطريق من طرق الحفاظ على النسل هو تحريم القذف وتقرير الحد عليه. والقذف لغة هو الرمي البعيد، قيل: منزل قذف وبلد قذوف أي بعيدة، واستعير للشتم والعيب.⁴⁹⁹ وأما في الاصطلاح فالقذف بمعنى الرمي بالزنى⁵⁰⁰، واستعمل أيضا في الرمي باللواط⁵⁰¹. القذف محرم بالكتاب والسنة والإجماع. وأما الكتاب فقال الله تعالى: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْقَاسِيُونَ)⁵⁰². وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)⁵⁰³.

وأما السنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اجتنبوا السبع الموبقات)، وذكر منها: (وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)⁵⁰⁴، والمحصنات هنا العفاف⁵⁰⁵. وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة على تحريم القذف⁵⁰⁶ وعدوه من كبائر الذنوب.

حد القذف

يجب الحد بسبب القذف بالزنى؛ لأنه نسبة إلى الزنى، تتضمن إلحاق العار بالمقذوف، فيجب الحد دفعا للعار عنه، وصيانة لسمعته⁵⁰⁷. قد أجمع العلماء على وجوب الحد

499 . انظر معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ص 73 ج 3

500 . المصدر السابق ص 74 وانظر المغني ص 383 ج 12

501 . انظر الملخص الفقهى ص 705

502 . النور : 4

503 . النور : 23

504 . سبق تخريجه

505 . انظر المغني ص 384 ج 12

506 . المصدر السابق ص 383 ج 12

على من قذف المحصن إذا كان مكلفاً⁵⁰⁸. فإذا قذف المكلف المختار محصنا بزني أو لواط فإنه يجلد ثمانين جلدة؛ لقوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)، ومعنى الآية: أن الذين يقذفون بالزني المحصنات الحرائر العفائف العاقلات، ثم لم يأتي القذفة بأربعة شهداء على ما رموهن به، فاجلدوهم ثمانين جلدة، ولا فرق بين كون المقذوف ذكراً أم أنثى⁵⁰⁹.

وإنما استحق القاذف هذه العقوبة صيانة لاعراض المسلمين عن التدنيس، ولأجل كفا الألسن عن هذه الألفاظ القذرة التي تلتخ أعراس الأبرياء، وصيانة للمجتمع الإسلامي عن شيوخ الفاحشة منه⁵¹⁰.

3. منع الإجهاض

ومنع الإجهاض يعتبر طريقاً من طرق المحافظة على النسل. و المراد بالإجهاض هو إسقاط الجنين. لقد اتفق الفقهاء على أن إسقاط الجنين بعد نفخ الروح فيه حرام وجريمة لا يحل للمسلم أن يفعله لأنه جناية على حي متكامل الخلق ظاهرة الحياة⁵¹¹، وهذا طبعاً يخالف مراد الشرع من حفظ النوع، وخلود الأثار، وبقاء الحياة على الأرض واستعمارها، كما قال تعالى: (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)، وتحقيق الخلافة فيها، كما قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ). ففاعل الإجهاض

507 . بدائع الصنائع ص 40 ج 7

508 . انظر المغني ص 384 ج 12

509 . الملخص الفقهي ص 706

510 . المصدر السابق ص 706

511 . انظر مشكلة الإجهاض دراسة طبية فقهية ل د محمد علي البار ص 37 الدار السعودية ط 1 س 1405ها- 1985 م

يعتبر مجرماً ارتكب جريمة عظيمة ويعتبر قاتلاً يستحق العقاب لأنه يعتبر قاتل النفس المحرمة، وقال تعالى: (ولا تقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق).

المبحث الثالث: التكفير المعين يفضي إلى إفساد الحياة الزوجية

قد سبق أن ذكرنا أن الزواج ضرورة من ضروريات الإنسان، وإنه وسيلة من وسائل الإعفاف وصيانة المجتمع من الأمراض الروحية والأمراض الحسية المعدية التي تحدد كيانه، فبذلك أن الزواج يعتبر وسيلة من وسائل البقاء الإنساني، وخلود الأثر، وبقاء الحياة على الأرض واستعمارها، وتحقيق الخلافة فيها، وكل ذلك لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق التناسل والتوالد الشرعي الذي هو الزواج أو النكاح. فالزواج أمره عظيم حيث إنه يتضمن حكماً كثيرة لاستمرار حياة الإنسان في هذه الدنيا، وإنه علاج لأمراض الأفراد والمجتمع، فدون الزواج تكون حياة الإنسان في غاية السقوط والدمار والفوضى، بل ربما تشبه حياته حيات الحيوانات التي لا تعرف النظام الذي ينظم العلاقة بينها، وربما يؤدي إلى دروس الأجيال الإنسانية. فكل محاولة التي تفضي إلى انعدام العلاقة الزوجية وقطع التناسل الشرعي هي محولة مذمومة غير مشكورة يجب ألا يلتفت إليها.

ومن تلك المحاولات المذمومة التي تسهم في قطع التناسل الشرعي هو التكفير المعين؛ لما فيه من آثار سيئة على الحياة الزوجية التي هي وسيلة للتناسل الشرعي، ومما يلي من آثار سيئة التي يترتب عليها التكفير في الحياة الزوجية.

المطلب الأول: التكفير المعين يفضي إلى تحريم الزواج بامرأة مسلمة وغيرها وبالعكس

كما عرفنا أن الحكم على أحد بالكفر يعني الحكم عليه بالردة، ومن ارتد عن الإسلام فقد بطل سائر عمله، فلا يجري عليه ما يجري على المسلمين من الحقوق والواجبات، لأن المرتد ليس له حق إلا الموت إن لم يتب عن رده، فكل تصرفاته باطلة لا يعتد بها.

ومن تلك التصرفات التي ليس للمرتد حق فيها هو الزواج سواء كان الزواج بامرأة مسلمة أو غيرها من كتابية أو مرتدة، فكل الزواج قام به المرتد فهو باطل.

والمبدأ الذي يبنى عليه هذا القول هو قوله تعالى: (وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا)⁵¹² وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)⁵¹².

فالآية دالة على تحريم نكاح أهل الشرك، فمن باب أولى أهل الردة لأنه لا ملة له، ولذلك قد اتفق الفقهاء على أن المسلم إذا ارتد ثم تزوج فلا يصح زواجه؛ لأنه لا ملة له، فليس له أن يتزوج مسلمة، ولا كافرة، ولا مرتدة⁵¹³.

وقد أفاض فقهاء الإسلام في الكلام عن زواج المرتد، وجماع رأيهم أن اختلاف مذاهبهم أنه باطل بطلاناً أصلياً، وفيما يلي قليل من كثير بغية التمثيل لا حصر ولا لإحاطة:

1. قال السرخسي في المبسوط: (ولا يجوز للمرتد أن يتزوج مرتدة ولا مسلمة ولا كافرة أصلية، لأن النكاح يعتمد الملة ولا ملة للمرتد فإنه ترك ما كان عليه وهو غير مقرّ على ما اعتقده). ثم علّل هذا الحكم بأسباب منها: أن النكاح مشروع لمعنى البقاء والقيام بمصالح المعيشة، والمرتد مستحق للقتل، فما كان سبب البقاء لا يكون مشروعاً في حقه، والثاني أن قتله بنفس الردة صار مستحقاً، وإنما يمهّل أياماً ليتأمل فيما عرض له من الشبهة ففيما وراء ذلك جعل كأنه لا حياة له حكماً فلا يصح منه عقد النكاح؛ لأن اشتغاله بعقد النكاح يشغله عما لأجله حياته وهو التأمل. ثم بين في حق المرتدة بأنها لا يجوز نكاحها مع أحد لأنها مأمورة بالتأمل لتعود إلى الإسلام وممنوعة بالاشتغال بشيء

⁵¹² . البقرة : 221

⁵¹³ . انظر صحيح فقه السنة كتاب الحدود ص 176 ج 4

آخر ولأنها بالردة صارت محرمة والنكاح مختص بمحل الحل ابتداءً ولهذا لا يجوز نكاحها مع أحد⁵¹⁴.

وقد قال في نفس الكتاب ضمن الكلام على تصرفات المرتد: (ومنها ما هو باطل بالاتفاق في الحال كالنكاح والذبيحة لأن الحل بهما يعتمد الملة ولا ملة للمرتد فقد ترك ما كان عليه-الإسلام-وهو غير مقرّ على ما اعتمده، أي انتقل إليه)⁵¹⁵.

2. وقد جاء في كتاب بدائع الصنائع للإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي المذهب، فقال: (ومنها أن يكون للزوجين ملة يقَران عليها، فإن لم يكن أحدهما مرتدًا لا يجوز نكاحه أصلاً بمسلم ولا بكافر غير مرتد ولا بمرتد مثله، لأنه ترك ملة الإسلام، ولا يُقَرّ على الردة، ويُجَبّر على الإسلام بالقتل، فكانت الردة في معنى الموت، والميت لا يكون محلاً للنكاح، ولأن ملك النكاح ملك معصوم ولا عصمة مع الردة.. والدليل عليه أن الردة لو اعترضت على النكاح رفعتة فإذا قارنته تمنعه من الوجود من طريق الأولى كالرضاع، لأن المنع أسهل من الرفع)⁵¹⁶.

3. كما ورد في كتاب الهداية شرح بداية المبتدئ لشيخ الإسلام برهان الدين أبي بكر الميرغاني: (ولا يجوز أن يتزوج المرتد من مسلمة ولا كافرة ولا مرتدة لأنه مستحق للقتل، والإمهال ضرورة التأمل والنكاح يشغله عنه فلا يشرع في حقه). ثم قال: (وكذلك المرتدة لا يتزوجها مسلم ولا كافر؛ لأنها محبوسة لتأمل، وخدمة الزوج تشغلها)⁵¹⁷.

514 . المبسوط باب نكاح المرتد ص 48-49 ج 5

515 . المصدر السابق ص 104 ج 10

516 . بدائع الصنائع ص 270 ج 2

517 . الهداية شرح بداية المبتدئ لشيخ الإسلام برهان الدين أبي بكر الميرغاني باب نكاح المشترك ص 127 ج 3 إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ط 1 س 1427 ها

4. وفي كتاب الدر المختار شرح تنوير الابصار للعلامة محمد علاء الدين الحصكفي في باب نكاح الكافر قال: (ولا يصح أن ينكح مرتد أو مرتدة أحداً من الناس مطلقاً)⁵¹⁸.
5. وورد في كتاب البحر الرائق شرح كنز الدقائق للعلامة زين الدين بن نجيم الملقب بأبي حنيفة الثاني بعد أن تكلم على تصرفات المرتد حال الردة: (والحاصل أن ما يعتمد الملة لا يصح منه اتفاقاً هي خمسة: النكاح، والذبيحة، والصيد بالكلب والبازي والرمي، والإرث والشهادة)⁵¹⁹.

6. كما ورد في كتاب المغني لابن قدامة المقدسي : (وإن تزوج لم يصح تزوجه لانه لا يُقر على النكاح، وما منع الإقرار على النكاح مع انعقاده كنكاح الكافر للمسلمة، وإن تزوج لم يصح تزوجه، لأن ولاءه على موليته قد زالت برده)⁵²⁰.
فهذه الأقوال من بعض علماء المذاهب دالة على أن نكاح المرتد لا يصح ولا يقر عليه؛ لأن المرتد كما قالوا يتعرض للقتل فلا يحق له للزواج؛ لأن الزواج يقصد به بقاء الحياة الزوجية وهذا يتعرض بما يجب على المرتد يعني القتل إن لم يتب من رده.

المطلب الثاني: التكفير المعين يفضي إلى انفكاك العلاقة الزوجية وتحريم رجوع الزوج إلى زوجته

ومما اتفق عليه جمهور الفقهاء أن الحكم على أحد بالكفر أو الردة يفضي إلى انفكاك العلاقة الزوجية بين الرجل وامراته إلا ما روي عن داود، أنه لا يفسخ بالردة؛ لأن الأصل بقاء النكاح⁵²¹.

518 . الدر المختار شرح تنوير الابصار للعلامة محمد علاء الدين الحصكفي باب نكاح الكافر ص 200 دار الكتب العلمية ط 1 س 1423 ها- 2002 م

519 . البحر الرائق شرح كنز الدقائق للعلامة زين الدين بن نجيم ص 144 ج 5

520 . المغني ص 274 ج 12

521 . انظر المغني كتاب النكاح ص 39 ج 10

إلا أن ما ذهب إليه الجمهور هو الراجح لأدلة، منها قوله تعالى: (ولا تمسكوا بعصم الكوافر)⁵²²، وقوله تعالى: (فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ)⁵²³، فما ذهب إليه جمهور الفقهاء أقوي وأرجح لما دلت عليه الآياتان.

ثم اختلف الجمهور هل الفرقة التي حصلت بسبب ردة أحد الزوجين يعتبر فسخا أو طلاقا، فذهبت الحنفية والشافعية والحنابلة إلى أن الفرقة بسبب الردة تعتبر فسخا، بينما ذهبت المالكية إلى أنها طلاقا لا فسخا، ولك البيان من أقوال المذاهب.

قالت الحنفية: إذا ارتد أحد الزوجين المسلمين بانتهامه من امرأته مسلمة كانت أم كتابية، دخل بها أم لم يدخل بها؛ لأن الردة تنافي النكاح ويكون ذلك فسخا عاجلا لا طلاقا ولا يتوقف على القضاء. ثم إن كانت الردة قبل الدخول وكان المرتد هو الزوج فلها نصف المسمى أو المتعة، وإن كانت هي المرتدة فلا شيء لها. وإن كان بعد الدخول فلها المهر كله سواء كان المرتد الزوج أو الزوجة.

وقالت المالكية: إذا ارتد أحد الزوجين المسلمين كان ذلك طلقة بائنة، فإن رجع إلى الإسلام لم ترجع له إلا بعقد جديد، ما لم تقصد المرأة بردها فسخ النكاح، فلا يفسخ، معاملة لها بنقيض قصدها.

وقالت الشافعية: إذا ارتد أحد الزوجين فلا تقع الفرقة بينهما حتى تمضي عدة الزوجة قبل أن يتوب ويرجع إلى الإسلام، فإذا انقضت بانتهامه، وبينونتها منه فسخ لا طلاق، وإن عاد إلى الإسلام قبل انقضائها فهي امرأته.

وقالت الحنابلة: إذا ارتد أحد الزوجين قبل الدخول انفسخ النكاح فورا وتنصف مهرها إن كان الزوج هو المرتد، وسقط مهرها إن كانت هي مرتدة⁵²⁴.

522 . المتحنة : 10

523 . المتحنة : 10

524 . صحيح فقه السنة كتاب الحدود ص 175-176 ج 4

ورجح الشيخ السيد سابق بأن الفرقة تعتبر فسخا، فقال: (إذا ارتد الزوج أو الزوجة انقطعت علاقة كل منهما بالآخر؛ لأن ردة أي واحد منهما موجبة للفرقة بينهما، وهذه الفرقة تعتبر فسخا، فإذا تاب المرتد منهما، وعاد إلى الإسلام، كان لابد من عقد ومهر جديدين، إذا اراد استئناف الحياة الزوجية⁵²⁵.

لكن مهما اختلفوا في كون ردة أحد الزوجين تعتبر فسخا أو طلاقا إلا أننا رأينا أنهم اتفقوا على التفريق بين الزوجين إذا ارتد أحدهما إلا ما روي عن أبي ليلي أنه قال بعدم الفرقة بردة أحد الزوجين قبل الدخول ولا بعده حتى يستتاب⁵²⁶، ولكن القول ما قاله الجمهور، والله أعلم.

تأكيدا لما ذكرنا لمر بعض أقوال العلماء في حكم زواج المرتد.

1. قال السرخسي في المبسوط: (وإذا ارتد المسلم بانته امرأته مسلمة كانت أو كتابية دخل بها أو لم يدخل بها عندنا)، ثم قال ردا على ما قاله أبو ليلي: (ولكننا نقول الردة تنافي النكاح واعتراض سبب المنافي للنكاح موجب للفرقة بنفسه كالمحرمة... ثم إن كان الزوج هو المرتد فلها نصف المهر إن كان لم يدخل بها ونفقة العدة إن كان دخل بها، وإن كانت هي التي ارتدت فلا مهر لها إن كان قبل الدخول وليس لها نفقة العدة بعد الدخول)⁵²⁷.

2. قال القراني في الذخيرة: (في الردة - نسأل الله العفو والعافية - وهي مبطله للنكاح، لقوله تعالى ((إن أشركت ليحبطن عملك))⁵²⁸، والمراد آثار العمل لاستحلال رفع

525 . فقه السنة كتاب الردة ص 209 ج 3

526 . انظر المبسوط ص 49 ج 5

527 . المصدر السابق ص 49 ج 5

528 . الزمر : 65

المانع فيبطل آثار العقد منها الحل، فإن ارتدت المرأة، فلقوله تعالى ((ولا تمسكوا بعصم الكوافر)) أي من كفر من أزواجكم⁵²⁹.

3. ثم قال الشيخ نجيب المطيعي في كتابه المجموع شرح المهذب: (في مذاهب العلماء: مذهبننا إذا ارتد أحد الزوجين - فإن كان قبل الدخول - انفسخ نكاحهما، وقال داود: لا يفسخ. دليلنا قوله تعالى ((ولا تمسكوا بعصم الكوافر))، ولأن هذا اختلاف دين يمنع الإصابة فانفسخ به النكاح)⁵³⁰.

4. وكذلك قال ابن قدامة في المغني: (وجملة ذلك أنه إذا ارتد أحد الزوجين قبل الدخول، انفسخ النكاح، في قول عامة أهل العلم، إلا أنه حكى عن داود، أنه لا يفسخ بالردة، لأن الأصل بقاء النكاح، ولنا قوله تعالى ((ولا تمسكوا بعصم الكوافر))، وقال تعالى ((فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن))، ولأنه اختلاف دين يمنع الإصابة، فأوجب فسخ النكاح، كما لو أسلمت تحت كافر)⁵³¹.

5. وقال ابن رجب الحنبلي في القواعد: (ولو تصرف - أي المرتد - لنفسه بنكاح، لم يصح لأن الردة تمنع الإقرار على النكاح، وإن زوج موليته لم يصح لزوال ولايته برده على أمته الكافرة)⁵³².

وبناء على القول الراجح بأن الفرقة التي تحصل بسبب الردة تعتبر فسخا وليس طلاقا، فليس للزوج المرتد حق في رجعة زوجته المسلمة إلا أن تاب وأسلم فعليه أن يعقد النكاح من جديد مع كل شروطه وأركانه وواجباته، والله أعلم.

529 . الذخيرة ص 335 ج 4

530 . المجموع شرح المهذب للشيخ نجيب المطيعي كتاب النكاح ص 428 ج 17 مكتبة الإرشاد دون الطبع ولا السنة

531 . المغني ص 39 ج 10

532 . تقرير القواعد وتحرير الفوائد لابن رجب الحنبلي ص 409-410 ج 3 دار ابن عفاان دون الطبع ولا السنة

فخلاصة الكلام أن التكفير الذي يؤدي إلى إخراج شخص عن دائرة الإسلام يفضي إلى انفكاك الحياة الزوجية والتفريق بين الزوج وزوجته الذي بذلك يحصل انقطاع النسل.

الفصل الخامس : خطورة تكفير المعين في الحفاظ على المال

للمال قيمة عظيمة في الإسلام، ولا شك أنه ضرورة من ضروريات حياة الإنسان، قال الإنسان يحتاج إلى المال في جميع شئون حياته، في طعامه، وشرابه، ومسكنه، ومنكحه، وملبسه. قال الدكتور يوسف حامد العالم: (من الحقائق التي لا يشك فيها أحد أن المال ضرورة من ضروريات الحياة التي لا غنى للإنسان عنها في قوته، ولباسه، ومسكنه، فالمال به يشبع حاجاته الضرورية، والحاجية، والتحسينية)⁵³³.

وبالمال يجلب الإنسان مصالحه ويستدفع الضرر عن نفسه، تقام به العبادات والمعاملات،

كما قال تعالى: (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالِكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا)⁵³⁴. فبالمال

يتعفف الإنسان عن ذل السؤال، وبه تقام العبادات كالزكات والحج والجهاد في سبيل

الله، قال تعالى: (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)⁵³⁵، ولذلك قد جعل الشارع للمال حرمة عظيمة واهتم به

جل الاهتمام؛ لأن الناس مجبولون على حبه، قال تعالى: (وتحبون مال حبا جما)⁵³⁶،

وسمى الله تعالى المال خيرا، فقال: (وإنه لحب الخير لشديد)⁵³⁷، قال السعدي مفسرا

للآية: (أي كثير الحب للمال)⁵³⁸.

533 . المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ص 467

534 . النساء : 5

535 . التوبة : 41

536 . الفجر : 20

537 . العاديات : 8

538 . تيسير الكريم الرحمن للعلامة السعدي ص 933 دار السنة ط 1 س 1425هـ-2005م

ولهذا استجاب الله تعالى لنداء الفطرة البشرية بإباحة التملك الفردي، قال تعالى: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)⁵³⁹، وقال تعالى: (وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ)⁵⁴⁰، وقال تعالى: (الذي يُوْتِي ماله يتزكى)⁵⁴¹.

ولمعرفة عظم اهتمام الإسلام بالمال لتحدث أولا عن معنى المال، ثم طريقة المحافظة عليه لكي نعلم أن التكفير بلا توفر الشروط يخالف شرع الله في المحافظة على المال الذي هو ضرورة من ضروريات الحياة.

المبحث الأول : تعريف المال

الشارع لم يحدد للمال معنى خاصا، كما حدد معاني غيره من الألفاظ كالصلاة، والزكاة، والحج، والربا، والنكاح، بل تركه لعرف الناس. قالعربي الذي نزل بلغته القرآن عندما يسمع لفظ المال يفهم المراد منها، كما يفهم ما يراد من لفظ السماء والأرض⁵⁴².

المطلب الأول : معنى المال لغة

قال ابن المنظور: (المال معروف ما ملكته من جميع الأشياء...والجمع أموال)⁵⁴³. قال ابن الأثير: (المال في الأصل ما يملك من الذهب والفضة ثم أطلق على كل ما يقتنى ويملك من الأعيان، وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل؛ لأنها كانت أكثر أموالها)⁵⁴⁴. وقيل في القاموس: (المال ما ملكته من كل شيء، أو كل ما يملكه الفرد، أو

539 . البقرة : 274

540 . البقرة : 279

541 . الليل : 18

542 . المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ص 468

543 . لسان العرب ص 635 ج 11

544 . المصدر السابق ص 636 ج 11

تملكه الجماعة من متاع، أو عرض التجارة، أو عقار، أو نقود، أو حيوان⁵⁴⁵. فالمال في اللغة هو كل ما يملكه الإنسان من أشياء.

المطلب الثاني : معنى المال اصطلاحا

وأما في الاصطلاح لقد تعددت عبارة الفقهاء في تعريف المال. فقالت الحنفية: بأنه ما يميل إليه الطبع ويمكن إيداره إلى وقت الحاجة.

وعرفته المالكية: بأنه ما يقع عليه الملك، ويستبد به المالك عن غيره إذا أخذه من وجهه.

وعرفته الشافعية: بأنه ما له قيمة يباع بها وتلزم متلفه.

وعرفته الحنابلة: ما فيه المنفعة مباحة من غير ضرورة⁵⁴⁶.

فقهاء الحنفية يوجبون لتحقيق مالية الشيء اجتماع أمرين: أن يكون شيئا ماديا يمكن إحرازه وحيازته، وأن يكون الشيء منتفعا به انتفاعا معتادا مشروعاً في حالة السعة والاختيار.

وأما الجمهور فالمال عندهم هو ما يمكن حيازته والانتفاع به، ويمكن القول بأن الجمهور عرفوا المال بأنه ما يمكن حيازته، وأن يكون له قيمة بين الناس، وأن ينتفع بهذه القيمة انتفاعاً شرعياً. فعلى كل أن تعريف المال عند الفقهاء في الاصطلاح قريب منه في اللغة.

المبحث الثاني : طريقة المحافظة على المال

كما قد ذكر أن الشارع جعل المال قياماً للناس في حياتهم الدنيوية والعبودية، فإنه ضرورية الإنسان بحيث لا تستقم حياتهم بدونها، بل أبعد من ذلك أن تضييع الحياة المالية تؤدي

545 . معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ص 194 ج 3

546 . معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ص 195 ج 3

إلى هلاك الحياة الإنسانية؛ لأن المال دعم يدعم الإنسان في توفير حوائجهم لاستمرار حياتهم، ولذلك المحافظة عليه أمر لا بد منه لا محالة، وقد جعل الشارع بعض الطرق للمحافظة عليه، ومنها ما يلي.

المطلب الأول : طريقة المحافظة على المال من جانب الوجود

1. الحث على التملك المشروع: عن طريق

- الجهد البدني والفكري

إن الإسلام يحث أهله على العمل لتوفير حوائجهم ويحرم عليهم كثرة المسألة ويجعلها شيئاً مذموماً لا يليق لمسلم أن يفعله. ولذلك نجد في القرآن الكريم آيات وفي السنة المطهرة أحاديث تحث المسلمين على العمل والاكتساب ويحرم عليهم ويذم كثرة المسألة. ومن الآيات فقول الله تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)⁵⁴⁷. ومنها قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)⁵⁴⁸. وقوله تعالى: (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا)⁵⁴⁹. وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)⁵⁵⁰. فهذه الآيات كلها تحث المسلمين على الكسب والعمل ومنه التجارة التي هي إحدى الوسائل للتملك المشروع.

547 . الجمعة: 10

548 . الملك: 15

549 . البقرة: 275

550 . النساء: 29

ومن السنة فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أطيب الكسب عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور)⁵⁵¹. وقوله صلى الله عليه وسلم: (ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)⁵⁵².

- التملك بحكم الشرع من غير جهد

والمراد بالتملك بحكم الشرع من غير جهد يعنى أن يحصل أحد على مال من غير عمل ولا كسب من عنده كالهبة، والميراث، والوصية، واستحقاق النفقة والمهر بنسبة للمرأة، واستحقاق الديات. فكل هذه الأشياء لقد شرعها الله تعالى ومن أهدافه صيانة وحفاضة على المال.

2. الترغيب في كسب المال من خلال المنافع الأخروية التي يمكن تحصيلها

ومن الأدلة التي دلت على هذا هو قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)⁵⁵³. وقال تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)⁵⁵⁴.

وأما السنة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله)⁵⁵⁵. وقال رسول الله صلى

551 . رواه أحمد

552 . رواه البخاري

553 . البقرة: 261

554 . البقرة: 245

555 . رواه مسلم

الله عليه وسلم: (ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة)⁵⁵⁶.

فهذا بعض الطرق للحفاظ على المال من جانب الوجود.

المطلب الثاني : طريقة المحافظة على المال من جانب العدم

أ. تحريم بعض مصادر التملك

فهناك بعض مصادر التملك التي حرمها الإسلام لما فيه من مفسد ومضار، ومن هذه المصادر هي:

1. السرقة

السرقة هي أخذ المال على وجه الاختفاء من مالكة أو نائبة⁵⁵⁷، وهي كبيرة من كبائر الذنوب، وهي محرمة بالكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب فقوله تعالى: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ)⁵⁵⁸. والذي يسرق أكل للمال بالباطل.

ومن الآية التي دلت على حرمة السرقة هي الآية التي نتحدث عن حد السارق، فقال تعالى: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)⁵⁵⁹.

وأما السنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن)⁵⁶⁰. وقال في حجة الوداع وهو يخاطب الناس: (إن دمائكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا

556 . رواه البخاري

557 . الشرح الممتع ص 324 ج 14

558 . البقرة: 188

559 . المائدة: 38

560 . رواه البخاري

في شهركم هذا في بلدكم هذا)⁵⁶¹. وأما الإجماع فمعلوم أن الأمة قد أجمعوا على حرمة السرقة وأجمعوا على وجوب قطع السارق في الجملة⁵⁶².

2. الرشوة

الرشوة لغة هي الجعل وما يعطى لقضاء مصلحة، واصطلاحاً هي ما يعطى لإبطال حق أو لإحقاق باطل⁵⁶³. فالرشوة محرمة بالسنة والإجماع وأنها من كبائر الذنوب لعن الله تعالى لها وفاعلها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لعن الله الراشي والمرتشي)⁵⁶⁴.

3. الربا

مما حرم الله تعالى صيانة على المال الربا. والربا لغة بمعنى الزيادة. وأما في الاصطلاح فإنه زيادة في أشياء ونسأ في أشياء⁵⁶⁵. والربا محرم بالكتاب والسنة والإجماع. أما الكتاب فقال الله تعالى: (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا)⁵⁶⁶. وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِغُوا فَلَئِنَّكُمْ زُجُجْتُمْ أَمْوَالِكُمْ لَآ تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ)⁵⁶⁷.

ولأن الرسول لعن آكل الربا وموكله وشاهديه وكتابه وقال: هم سواء⁵⁶⁸. وقد أجمع المسلمون على تحريم الربا⁵⁶⁹. وبناء على هذه الأدلة فالربا داخل في كبائر الذنوب بل

561 . رواه البخاري

562 . انظر الشرح الممتع ص 324 ج 14 والمغني ص 415 ج 12

563 . معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ص 148-149 ج 2

564 . رواه أحمد

565 . الشرح الممتع ص 392 ج 8

566 . البقرة: 275

567 . البقرة: 278-279

568 . رواه مسلم

569 . الشرح الممتع ص 392 ج 8

هو من أعظم الكبائر، وقد ذكر شيخ الإسلام أنه جاء من الوعيد في الربا ما لم يأت في أي ذنب آخر سوى الشرك والكفر⁵⁷⁰.

4. الغرر والغش

الغرر لغة الخطر، وفي اصطلاح الفقهاء إنه ما كان مستور العاقبة. قال ابن القيم: (الغرر ما تردد بين الوجود والعدم فنهي عن بيعه؛ لأنه جنس القمار، ويكون قمارا إذا كان أحد المتعوضين يحصل له مال والآخر قد يحصل وقد لا يحصل). وبيع الغرر هو البيع الجهل به أو بثمانه أو بأجله.

وأما الغش في اللغة الخضبة⁵⁷¹، وحقيقته إظهار المرء خلاف ما أضمره لغيره مع تزيين المفسدة له. والغش في البيع أن يكتنم البائع عن المشتري عيبا في المبيع لو اطلع عليه لما اشتراه بذلك الثمن⁵⁷².

وكل من الغرر والغش محرم في الإسلام لما فيه من ضرر للآخرين، ولذا حرم في الإسلام بيع المجهول وبيع السمك في البحر، وبيع الطير في الهواء وبيع حبل الحبلة وغير ذلك مما ذكر في كتب الفقه الذي يؤدي إلى تغيير الآخرين وتتسبب من ذلك النزاعات بين الناس. وكذلك بتحريم الغش، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من غشنا فليس منا)⁵⁷³، وقال تعالى: (أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ . وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ . وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)⁵⁷⁴، وقال تعالى:

570 . المصدر السابق ص 393 ج 8

571 . معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ص 15 ج 3

572 . المصدر السابق ص 15 ج 3

573 . رواه مسلم

574 . الشعراء: 181-183

(وَيَلُ لِّلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ)
(575، وقال تعالى: (وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) 576).

5. القمار

القمار في اللغة بمعنى الخطر⁵⁷⁷ وفي الاصطلاح فإنه بمعنى كل لعب يشترط فيه غالبا من المتغالبين شيء من المغلوب⁵⁷⁸. والقمار محرم بكتاب الله تعالى، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)⁵⁷⁹، وقد اجمعت الأمة على تحريم القمار لما فيه من إفساد للحياة المالية ويسبب النزاع بين الناس ويصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة، كما قال الله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)⁵⁸⁰.

6. الغصب

الغصب في اللغة أخذ الشيء ظلما مالا كان أو غيره⁵⁸¹. وفي الشرع أخذ مال متقوم محترم بلا إذن مالكه بلا خفية⁵⁸². الغصب محرم بإجماع المسلمين وذلك لقوله تعالى: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ)⁵⁸³، وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يحل مال امرء

575 . المطففين: 3-1

576 . الرحمن: 9

577 . معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ص 112 ج 3

578 . التعريفات ص 150

579 . المائة: 90

580 . المائة: 91

581 . التعريفات ص 136

582 . المصدر السابق ص 136

583 . البقرة: 188

مسلم إلا بطيب نفسه⁵⁸⁴، وقال صلى الله عليه وسلم: (من اقتطع شبرا من الأرض ظلما طوقه يوم القيامة من سبع أرضين)⁵⁸⁵.

ب. تحريم العدوان على المال

ومن الطرق التي جعلها الله تعالى لحفاظ على المال هو تحريم العدوان على المال، فلا يجوز لأحد ان يعتدي على ما عند الآخرين من الأموال إلا بما أباحه الشارع.

لقد حرم الله تعالى العدوان على المال في كتابه الكريم، قال الله تعالى: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِنَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)⁵⁸⁶، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ)⁵⁸⁷. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)⁵⁸⁸.

فالإسلام قد حرم الإعتداء على المال سواء كان ذلك المال ملكا فرديا أو جماعيا أو مباحا لا يملكه أحد. وتحريم الاعتداء على المال الجماعي أشد، والدليل على ذلك أن الشرع قد أضاف هذا المال لله تعالى، وجعله حقا من حقوق الله، وما كان ذلك إلا من أجل ردع كل من تسول له نفسه الاعتداء على هذا المال.

ج. تحريم التبذير

لقد حرم الله التبذير لأنه سبب من أسباب الهلاك ومحق البركات وزوال النعم، وذلك لأنه تفريق المال على وجه الإسراف⁵⁸⁹، وهو أيضا أخذ المال من حقه ووضعه في غير حقه.

584 . رواه أحمد

585 . رواه البخاري ومسلم

586 . البقرة : 188

587 . النساء : 29

588 . رواه مسلم

589 . التعريفات ص 46

والمراد بالتبذير هنا مجاوزة حد الاعتدال في الطعام والشراب واللباس والسكن ونحو ذلك من الغرائز في النفس البشرية وتصير ذلك في معصية الله تعالى. فالتبذير محرم لما فيه من طاعة الشيطان ومعصية الله تعالى، وتباع للهوى وبعد عن الحق، قال الله تعالى في شأن المبذرين: (إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا)⁵⁹⁰، وقال القرطبي: (من أنفق درهما في حرام فهو مبذر)⁵⁹¹.

و من الآيات التي تتحدث عن حرمة التبذير هي قوله تعالى: (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا)⁵⁹²، وقال تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)⁵⁹³، وقال تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا)⁵⁹⁴.
وأما السنة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ مِنْ مَالِ يَتِيمِكَ غَيْرِ مُسْرِفٍ وَلَا مُبَذِّرٍ وَلَا مُتَأَثِّلٍ)⁵⁹⁵، وقال صلى الله عليه وسلم: (فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم)⁵⁹⁶.

هذه هي بعض الطرق التي جعلها الإسلام للحفاظ على حرمة المال، وما قد ذكرنا من تلك الطرق دال على أن الإسلام قد أعطى للمال اهتماما كبيرا وجعل له حرمة حيث إنه قد جعل المال قياما للناس في حياتهم العبودية والدنيوية، لذا لا يجوز لأي أحد أن

590 . الإسراء : 27

591 . تفسير القرطبي ص 65 ج 13

592 . الإسراء : 26

593 . الأعراف : 31

594 . الفرقان : 67

595 . رواه أحمد

596 . رواه البخاري

يأتي بما يخالف هذا المقصد من الشرع بأي طريقة ولأي غرض كان إلا إذا كان عنده من الله إذن وحجة.

وما قد ذكرنا من طرق المحافظة على المال إنما هو على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر وإلا فهناك طرق أخرى قد جعلها الشارع وسيلة للحفاظ على المال مثل منع السفهاء والصغار عن التصرف في المال وغير ذلك، فمن أراد التوسع فعليه الرجوع إلى الكتب المتخصصة في ذلك، وما قد ذكر إنما ذلك لبيان عظم اهتمام الإسلام على المال حتى لا يتجرأ أحد على فعل ما يخالف هذا المقصد.

المبحث الثالث: التكفير المعين يفضي إلى إفساد الحياة المالية

وهذا آخر مبحثنا فيما يتعلق بخطورة التكفير المعين على المقاصد الضرورية، وهو المقصد الخامس يعني الحفاظ على المال، أي أن التكفير المعين له خطورته على الحياة المالية. وإن كان الفقهاء قد اختلفوا في زوال ملك المرتد بمجرد رده إلا أن هناك بعض مسائل قد اتفق عليها جمهور الفقهاء فيما يتعلق بتصرفات المرتد وميراثه مما دل على أن التكفير المؤدي إلى الحكم بالردة له خطورته على الحياة المالية.

المطلب الأول: التكفير المعين يفضي إلى استباحة الأموال

ذهب المالكية والحنابلة - غير أبي بكر - والشافعية في الأظهر وأبو حنيفة إلى أن ملك المرتد لا يزول عن ماله بمجرد رده، وإنما هو موقوف على ماله، فإن مات أو قتل على الردة زال ملكه وصار فيئا، وإن عاد إلى الإسلام عاد إليه ماله؛ لأن زوال العصمة لا يلزم منه زوال الملك، ولاحتمال العود إلى الإسلام⁵⁹⁷.

597 . صحيح فقه السنة ص 174 ج 4

قال ابن قدامة في كتابه المغني: (ولا يحكم بزوال ملك المرتد بمجرد رده في قول أكثر أهل العلم...فعلى هذا إن قتل أو مات زال ملكه بموته، وإن رجع الإسلام فملكه باق له)⁵⁹⁸.

وقال ابن المنذير في الإجماع: (وأجمع كل من نحفظ عنه على أن المرتد بارتداده لا يزول ملكه من ماله. وأجمعوا أنه يرجوعه إلى الإسلام ماله مردود إليه ما لم يلحق بدار الحرب. وأجمع كل من نحفظ عنه على أن المرتد إذا تاب ورجع إلى الإسلام، أن ماله مردود إليه)⁵⁹⁹.

وقال أبو يوسف ومحمد: (لا يزول ملكه برده؛ لأن الملك كان ثابتاً له حالة الإسلام لوجود سبب الملك وأهليته وهي الحرية، والكفر لا ينافي الملك كالكافر الأصلي)⁶⁰⁰. وكذا ما ذهب إليه المزني من الشافعية أنه لا يزول ملكه عن ماله؛ لأنه لم يوجد أكثر من سبب يبيح الدم، وهذا لا يوجب زوال الملك عن ماله كما لو قتل، أو زنى⁶⁰¹. وقد روي عن أبي بكر الحنبللي خلاف ما قاله الجمهور، فإنه قال بزوال ملكه برده لزوال العصمة برده فماله أولى، قال ابن قدامة: (قال أبو بكر ((يزول ملكه برده، وإن رجع الإسلام عاد إليه تملكاً مستأنفاً؛ لأن عصمة نفسه وماله إنما تثبت بإسلامه، فزوال إسلامه يزيل عصمتها، كما لو لحق بدار الحرب، ولأن المسلمين ملكوا إراقة دمه برده، فوجب أن يملكوا ماله بها)⁶⁰².

598 . المغني ص 272 ج 12

599 . الإجماع ص 174

600 . انظر صحيح فقه السنة ص 175 ج 4 والإنصاف ص 138 ج 7

601 . انظر المهذب لأبي إسحاق السيرازي فصل مال المرتد ص 212 ج 5 الدار الشامية و دار القلم ط 1 س 1412ها- 1992م

602 . المغني ص 272-273 ج 12

وقد صحح أبو إسحاق السيرازي ما ذهب إليه أبو بكر الحنبلي بقوله : (والقول الثاني : أنه يزول ملكه عن ماله، وهو الصحيح)⁶⁰³. وقد استدل رحمه الله تعالى بما روى طارق ابن شهاب فإنه قال: (جاء وفد بزخعة من أسدٍ وخطفان إلى أبي بكر يسألونه الصلح فخيرهم بين الحرب المجلية والسلم المخزية فقالوا هذه المجلية قد عرفناها فما المخزية قال ننزع منكم الحلقة والكراع ونغنم ما أصبنا منكم وتردون علينا ما أصبتم منا وتدون لنا قتلانا وتكون قتلاكم في النار وتتركون أقواماً يتبعون أذنان الإبل حتى يري الله خليفة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} والمهاجرين أمراً يعذرونكم به فعرض أبو بكر ما قال على القوم فقام عمر بن الخطاب فقال: قد رأيت رأياً وسنشير عليك فأما ما ذكرت من الحرب المجلية والسلم المخزية فنعم ما ذكرت، وما ذكرت أن نغنم ما أصبنا منكم وتردون ما أصبتم منا فنعم ما ذكرت، وأما ما ذكرت تدون قتلانا وتكون قتلاكم في النار فإن قتلانا قاتلت فقتلت على أمر الله أجورها على الله ليس لها ديات فتتابع القوم على ما قال عمر)⁶⁰⁴، والشاهد من الأثر هو قول أبي بكر الصديق " ونغنم ما أصبنا منكم وتردون علينا ما أصبتم منا " .

بناء على هذا رأيت - والله أعلم - أن الراجح هو ما ذهب إليه أبو بكر الحنبلي وأبو إسحاق السيرازي وصاحب المنتقى لهذا الأثر، وذلك لأسباب: أولاً أن صاحب القول الأول ليس عنده حجة سوى ما ادعاه ابن المنذر أنه إجماع، وهذا ينقض بمخالفة أبي بكر الحنبلي وأبي إسحاق السيرازي في ذلك. ثانياً أن الآثار يؤكد ما ذهب إليه أبو بكر الحنبلي وأبو إسحاق السيرازي حيث ذكر فيه أن أبا بكر الصديق جعل مال المرتد فيئاً بمجرد الردة، وهذا - والله أعلم - من ضمن سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعد

⁶⁰³ . انظر المهذب ص 212 ج 5

⁶⁰⁴ . رواه البرقاني على شرط البخاري. انظر نيل الأوطار للشوكاني باب حكم أموال المرتدين وجناياتهم ص 211 ج 7 دار الحديث س 1426ها- 2005م

رسول الله صلى الله عليه وسلم ألتى ألزمتنا بالتمسك بها حيث قال رسول الله: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي). ثالثا عدم المخالفة من الصحابة على ما ذهب إليه أبو بكر الصديق فكان إجماعا وأكد ذلك قول عمر ابن الخطاب حيث قال (وما ذكرت أن نغنم ما أصبنا منكم وتردون ما أصبتم منا فنعم ما ذكرت) . وأما قول الفريق الأول بأن موجب القتل لا يوجب إزالة الملك قياسا على زنا المحصن، فإن القياس فاسد لمخالفته الإجماع السابق. والله أعلم بالصواب.

وقال محمد عبد الوهاب علي ابن نصر المالكي في كتاب المعونة على مذهب عالم المدينة: (يستتابوا المرتد ثلاثا فإن تاب قبلت توبته، وإن أبي قتل وكان ماله فيئا للمسلمين)⁶⁰⁵.

المطلب الثاني: التكفير المعين يمنع من التصرف المالي

فإن قضية تصرف المرتد في ماله هل هو موقوف أو غير موقوف مبني على القضية التي قبلها. فالمالكية والحنابلة وأبو حنيفة الذين قالوا بعدم زوال مال المرتد بمجرد رده وإنما هو موقوف على ماله رأوا أن المرتد يحجر عليه ويمنع من التصرف، ولو تصرف تكون تصرفاته موقوفة، فإن أسلم جاز تصرفه، وإن قتل أو مات بطل تصرفه⁶⁰⁶.

قال ابن قدامة في المغني: (وتصرفات المرتد في رده بالبيع والهبة والعتق والتدبير والوصية ونحو ذلك موقوف، إن أسلم تبين أن تصرفه كان صحيحا، وإن قتل أو مات على رده كان باطلا)⁶⁰⁷ ثم علل على ما قال: (ولنا، أن ملكه تعلق به حق غيره مع بقاء ملكه فيه، فكان تصرفه موقوفا، كتبرع المريض)⁶⁰⁸.

605 . المعونة على مذهب عالم المدينة ص 294 ج 2

606 . صحيح فقه السنة ص 174 ج 4

607 . المغني ص 274 ج 12

608 . المصدر السابق 274 ج 12

وأما الشافعية فأنهم فصلوا، وقالوا: إن تصرف تصرفا يقبل التعليق كالتعق والتدبير والوصية كان تصرفه موقوفا إلى أن يتبين حاله، أما التصرفات التي تكون منجزة ولا تقبل التعليق كالبيع والهبة والرهن فهي باطلة بناء على بطلان وقف العقود، وهذا في الجديد⁶⁰⁹.

وأما أبو يوسف ومحمد بناء على ما قالوا في ملك المرتد رأيا أن تصرفاته جائزة كما تجوز من المسلم حتى لو أعتق، أو أدبر، أو كاتب، أو باع، أو اشترى، أو وهب نفذ ذلك كله⁶¹⁰.

وأما أبو بكر الحنبلي وأبو إسحاق السيرازي بناء على ما قالوا، رأيا ألا تصرف له أصلا؛ لأنه لا ملك له⁶¹¹، فلازم قولي بناء على ترجيح قولهما أن القول الراجح في تصرف المرتد أنه لا تصرف له أصلا، فإذا تصرف كان تصرفه باطلا؛ لأنه قد تصرف قيما لا يملك فكان باطلا. والله أعلم بالصواب.

المطلب الثالث: التكفير المعين يفضي إلى انقطاع التوارث

قد سبق أن تكلمنا بأن التوارث هو إحدى الطرق للمحافظة على المال حيث إنه طريق من طرق التملك الشرعي من غير الكسب البدني، بناء على هذا فلا يجوز لأحد أن يقطع هذه الوصيلة من غيره بأي محاولة كانت؛ لأنه بذلك قد قام ضد ما أراده الشارع وقصده إلا أن يكون عنده برهان من الله.

609 . صحيح فقه السنة ص 175 ج 4

610 . المصدر السابق ص 175 ج 4

611 . انظر صحيح فقه السنة ص 175 ج 4

والتكفير يقطع هذه الطريقة للتملك، فإنه يقطع التوارث بين والد وولده وبين أخ وإخوانه وغير ذلك؛ لأن المسلم لا يرث الكافر ولا الكافر يرث المسلم في قول جمهور الفقهاء⁶¹².

وبالنسبة للمرتد- الذي هو مصير التكفير- قد اتفق الفقهاء على أن المرتد لا يرث أحدا من أقاربه المسلمين لانقطاع الصلة بالردة. قال ابن قدامة في المغني: (لا نعلم خلافا بين أهل العلم في أن المرتد لا يرث أحدا، وهذا قول مالك، والشافعي، وأصحاب الرأي، ولا نعلم عن غيرهم خلافهم؛ وذلك لأنه لا يرث مسلما، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا يرث كافر مسلما)) . ولا يرث كافرا؛ لأنه يخالفه في حكم الدين؛ لأنه لا يقر على كفره...)⁶¹³، ثم قال: (ولأن المرتد تزول أملاكه الثابتة له واستقرارها، فلا أن لا يثبت له ملك أولى)⁶¹⁴، ثم قال: (ولو ارتد متورثان، فمات أحدهما، لم يرثه الآخر، فإن المرتد لا يرث ولا يورث)⁶¹⁵.

ثم اختلفوا في مال المرتد إذا قتل، أو مات على الردة على أربعة أقوال:

1. القول الأول: ماله فيء لبيت مال المسلمين، وهذا قول مالك والشافعي، وربيعة، وابن أبي ليلى، وأبي ثور، وأحمد في الصحيح من مذهبه⁶¹⁶. وحجتهم في ذلك هو قول صلى الله عليه وسلم: (لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم)، وهذا عموم لا يجوز أن يخص منه شيء. وقال أيضا: (لا يتوارث أهل ملة شتى)
2. والقول الثاني: جميع ماله لورثته من المسمين سواء ما اكتسبه قبل الردة أو بعدها، وهو مذهب أبي يوسف، وهو رواية ثانية في مذهب أحمد⁶¹⁷، وحجتهم ما روي عن زيد

⁶¹² . انظر التحقيقات المرضية ل د. صالح ابن فوزان ابن عبد الله الفوزان ص 57 مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ط 4 س 1419ها-1999م

⁶¹³ . المغني ص 159 ج 9

⁶¹⁴ . المصدر السابق

⁶¹⁵ . المصدر السابق

⁶¹⁶ . المحلى لابن حزم كتاب المواريث ص 387 ج 9 مكتبة دار التراث س 1426ها-2005م، والمغني كتاب الفرائض ص 162 ج

ابن ثابت أنه قال: (بعثني أبو بكر بعد رجوعه إلى أهل الردة أن أقسم أموالهم بين ورثتهم المسلمين) كذا ذكره ابن قدامة.

3. القول الثالث: ما اكتسبه قبل الردة لورثته المسلمين

وهذا مذهب أبي حنيفة وإسحاق، والثوري، وقالوا: (ما اكتسبه في رده يكون فيهما)⁶¹⁸، وحجتهم كأصحاب القول الثاني.

4. القول الرابع: ماله لورثته ممن أهل الدين الذي انتقل إليه، وإلا فهو فيء، وهذا رواية ثالثة في مذهب أحمد وقول داود الظاهري⁶¹⁹، وابن حزم⁶²⁰. وحجتهم أنه كافر فيرثه أهل دينه لقوله تعالى: (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض)⁶²¹، والآيات المواريث عامة للمسلمين والكفار، فلا يخرج عن حكمها إلا ما أخرجه نص سنة صحيح⁶²²، ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم)، فلم يمنع أن يرث الكافر الكافر⁶²³.

لقد أختار ابن قدامة قولاً من بين هذه الأقوال ورجحه وهو القول الأول فقال: (والمشهور الأول؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم ((لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم))، وقوله ((لا يتوارث أهل ملة شتى))، ولأنه كافر فلا يرثه المسلم، كالكافر الأصلي، ولأن ماله مال المرتد، فأشبهه الذي كسبه في رده، ولا يمكن جعله لأهل دينه؛ لأنه لا يرثهم فلا يرثونه كغيرهم من أهل الأديان، ولأنهم يخالفهم في حكمهم، فإنه لا يقر

617 . صحيح فقه السنة كتاب الحدود ص 178 ج 4، والمغني كتاب الفرائض ص 162 ج 9

618 . انظر المغني ص 162 ج 9

619 . انظر المغني ص 162-163 ج 9

620 . انظر المحلى كتاب المواريث ص 388-389 ج 9

621 . الأنفال : 73

622 . المحلى ص 389 ج 9

623 . صحيح فقه السنة ص 178 ج 4

على ما انتقل إليه. ولا توكل له ذبيحة، ولا يجل نكاحه إن كان امرأة، فأشبهه الحربي مع الذمي (624).

وأما ما استدل به صاحب القول الثاني من حديث زيد ابن ثابت، فالذي عند البيهقي عن زيد ابن ثابت (أن مال المرتد فيء يكون لبيت مال المسلمين). فعلى كل إن هذه الخلافات التي تقع بين الفقهاء دالة على أن الردة التي يترتب عليها التكفير له خطورة كبيرة على الحياة المالية التي المحافظة عليها هي من المقاصد الشرعية الإسلامية، فلا ينبغي لمسلم أن يوقع نفسه في هذه الفتنة العظيمة حفاظا على ما قد حفظته الشريعة، فمن وقع فيها وهو ليس من أهل هذه القضية فقد ألقى نفسه في الهلاك وأهلك الآخرين.

الفصل السادس: عقوبة قاذف التكفير

القذف لغة بمعنى الرمي البعيد، ومنه القذف بالحجارة غيرها، ثم استعمل في الرمي بالمكارة كالزنى واللواط ونحوهما. واصطلاحا بمعنى الرمي بالزنى. القذف يعتبر جريمة من جرائم اللسان، وهو في الأصل محرم بالكتاب، والسنة، الإجماع، ويعتبر كبيرة من كبائر الذنوب. أما الكتاب فقال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ). وأما السنة فلحديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اجتنبوا سبع الموبقات)، وذكر منها: (قذف المحصنات المؤمنات الغافلات). وقد أجمع المسلمون على تحريم القذف وعدوه من كبائر الذنوب.

حد القذف

إن على القاذف حد، وقد قرر الشارع أن من قذف مسلماً بالزنى ولم تقم بينة على صدقه فيما قذف به أنه يجلد ثمانين جلدة إن كان حراً وأربعين إن كان عبداً، رجلاً كان أو امرأة، ولم تقبل شهادته، وحكم عليه بالفسق، قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ).

حكم القذف بالكفر

إن من رمى مسلماً بالكفر وقذفه بالردة عن الإسلام ولم يأتي بالبينة دلت على صدقه فيما قذف به وهو ليس أهلاً لذلك، فإنه قد افتري وكذب وارتكب جريمة من جرائم اللسان، فمن فعل ذلك فإنه يعزر على ذلك ولا يقام عليه حد القذف الذي ذكره الله تعالى في كتابه الكريم الذي هو ثمانون جلدة؛ لأن ذلك الحد إنما يقام على من قذف مسلماً محصناً بالزنى خاصة.

فالتعزير يعود إلى ما رآه حاكم أن فيه مصلحة للمسلمين، وردع للمرتكب لأن لا يعود إلى ما ارتكب من تلك جريمة التكفير.

ثالثاً : الخاتمة

أولاً: أهم النتائج

1. أن التكفير نوعان : التكفير المطلق، والتكفير المعين، والتكفير المطلق مشروع في الإسلام، والتكفير المعين فإنه لا يجوز إلا بالضوابط الشرعية في ذلك.
2. أن التكفير المعين يلزم إخراج المسلم من دائرة الإسلام والحكم عليه بالردة، وهذا لا يجوز إلا بتوفر الشروط وانتفاء الموانع، والأمر يعود إلى من له أهل في الإجتهد من أهل العلم وليس ذلك حق لكل أحد.

3. أن من كفر مسلماً بلا توفر الشروط وانتفاء الموانع فإنه قد آتأ بالكبيرة؛ لأنه قد كفر من لم يكفره الله تعالى، ولذلك قد قال على الله الكذب.
4. أن التكفير المعين له خطورته الكبيرة على المقاصد الضرورية الخمسة التي أنزل الله تعالى هذه الشريعة من أجلها وهي حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال.
5. أن حفظ الدين هو مقصد من مقاصد الشريعة، ولذلك قرر الله تعالى طرقاً للحفاظ عليها إما من جانب الوجود وإما من جانب العدم، والتكفير المعين قد خالف هذا المقصد وقام ضده حيث إنه يؤدي إلى إخراج مسلم من دائرة الإسلام، والحكم عليه بالردة، ويترب على ذلك عدم اعتباره في بعض المعاملة الشرعية.
6. وكذلك بالنسبة للحفاظ على النفس التي جعل الله لها حرمتها وقرر طرقاً لحفظها، فإن التكفير المعين له خطورته عليها حيث إنه يؤدي إلى استباحة الدماء.
7. وتعتبر فكرة التكفير من مفسدات العقل البشري حيث إنه يسبب الانحرافات الفكرية والانحرافات العقائدية، كالإرهابية والخروج على ولاة الأمور وغير ذلك.
9. والتكفير المعين له خطورته على الحفاظ على النسل حيث إنه يفسد العلاقة الزوجية بأن يكون سبباً للتفريق بين الزوج وزوجته، ويمنع أحداً أن يتزوج على الإطلاق، والزواج كما علمنا طريقة التي جعلها الشارع للحفاظ على النسل.
10. والتكفير المعين خطير على المقصد الشرعي في الحفاظ على المال حيث إنه يؤدي إلى استباحة المال على القول الراجح في ذلك - والله أعلم - و يؤدي إلى قطع التوارث الذي جعله الله تعالى طريقاً من طرق الحفاظ على المال.

ثانياً: التوصيات

التكفير المعين هو مسألة من المسائل الخطيرة التي ينبغي لكل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر التحرز منها، إذ ليس كل من عمل عملاً كفرياً أو قال قولاً كفرياً يكون كافراً خارجاً من الإسلام إلا إذا توفرت الشروط في ذلك المعين وانتفتت الموانع، فقد يقول أو يعمل الإنسان الكفر باجتهاد أو خطأ أو إكراه ولا يكفر به، وذلك لما يترتب على ذلك من الأحكام الشرعية كإبطال سائر عمله، وإهدار دمه، وزوال عصمة ماله، وتحريم زوجته عليه وعدم حل ذبيحته وغير ذلك من الأحكام التي قد سبق ذكرها وما لم يذكر لعدم دخوله في إطار البحث كعدم جواز تغسيله، والصلاة عليه، ودفنه في مقابر المسلمين، عدم جواز الاستغفار له بعد موته. ولذلك أوصي نفسي وسائر المسلمين بتقوى الله عز وجل في حرمة المسلمين، ولا يوقع أنفسنا في مثل هذه القضية الخطيرة، ونفوض الأمر إلى أهله، ونسأل الله السلامة والعافية وأن نجنبنا الفتنة في ديننا ودياننا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس :

1. فهرس الآيات القرآنية.

1. وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون.....2
2. ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون.....2
3. وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا.....7
4. كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا.....8
5. فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ.....9
6. قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا.....11

7. فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا.....12
8. مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مِنْ أُكْرِهٍ.....13
9. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ.....15
10. وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ.....16، 17، 18
11. وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ.....16
12. لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ.....17
13. وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ.....18
14. قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ.....19
15. إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا.....22
16. وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ.....23
17. رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا.....23
18. فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ.....24
19. فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ.....24
20. هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ.....24
21. بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ.....24
22. وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَخْلَامِ بِعَالَمِينَ.....24

23. مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ 28
24. وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ 30
25. وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ 31
26. يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتُكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ 31
27. لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا 33
28. وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ 35
29. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ 36
30. وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ 36
31. مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ 37
32. وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ 37
33. فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ 37
34. أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ 37
35. وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ 37
36. لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِي 38
37. وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً 38
38. شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا 38

39. فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا.....40
40. آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ.....42
41. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ.....42
42. أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا.....43
43. أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ.....44
44. يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ.....44
45. الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ.....44
46. فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ.....44
47. فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ.....44
48. خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ.....44
49. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ.....44
50. أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى.....44
51. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْتَى.....44
52. وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ.....44
53. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ.....44
54. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً.....44

55. وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ.....44
56. وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ44
57. الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا.....44
58. كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى.....44
59. وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا.....44
60. إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.....44،45
61. وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ.....45
62. فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ.....45
63. إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.....45
64. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا.....45
65. وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ.....47
66. خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا.....48
67. وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ.....48
68. فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ.....49
69. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى.....49
70. إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ.....49

71. فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا.....50
72. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ.....50
73. شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ.....50
74. وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا.....51
75. وَأَعْمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ.....51
76. كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ.....52
77. انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ.....52
78. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا.....53
79. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.....53
80. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ.....54
81. وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ.....54
82. وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ.....55 ، 62
83. بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.....56
84. يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ.....58
85. وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى.....59
86. وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.....59

87. وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَفْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا حَطَأً.....59
89. وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ.....60
90. الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا.....60
91. وَالَّذِينَ يَزُمُونَ الْمَحْصَنَاتِ.....60
92. وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا.....60
93. إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.....60
94. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا.....62
95. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا.....62
96. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْرًا.....62
97. إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ.....62
98. فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ.....62
99. قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ.....62
100. شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ.....64
101. إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ.....64
102. وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ.....65
103. وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ.....65، 68

104. وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ. 65.....
105. والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض. 69، 70، 71.....
106. وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ. 72.....
107. الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ. 73.....
108. أطيعوا الله وأطيعوا الرسول..... 75.....
109. وَمَنْ يَفْتُلْ مُؤْمِنًا مَتَعِمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ. 79، 87.....
110. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ..... 79.....
111. والذين لا يدعون مع الله إلها آخر..... 80.....
112. وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت..... 80.....
113. وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ..... 81.....
114. فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ..... 81.....
115. وَإِنْ تَعَاَسَرْتُم فَسَتُرَضِّعْ لَهُ أُخْرَى..... 82.....
116. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ..... 84.....
117. هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا..... 85.....
118. وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ..... 86.....
119. وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ..... 87.....

120. وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ..... 87
121. وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ..... 87
122. قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ..... 87
123. وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا..... 87
124. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ..... 88
125. وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ..... 88
126. وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ..... 89
127. هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ..... 93
128. شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ..... 97
129. يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ..... 98
130. قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ..... 98
131. إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ..... 98
132. قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ..... 98
133. قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ..... 98
133. وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ..... 98
134. وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ..... 98

135. واتقون يا أولى الألباب.....99
136. ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب.....100
137. وما يذكر إلا أولوا الألباب.....100
138. لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب.....100
139. ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون.....100
140. إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار.....100
141. إنك لا تخلف الميعاد.....100
142. وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله.....100
143. وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا.....101
144. وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا.....103
145. إِنَّمَا الْحُمُرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ.....103
146. إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ.....106
147. إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ.....106
148. قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ.....106
149. وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ.....109
150. وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ.....109

151. مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِغَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ.....110
152. إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ.....110
153. وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ.....110
154. أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ.....110
155. وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى.....111
156. فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ.....111
157. كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.....111
158. وَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسِ.....111
159. وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ.....111
160. يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى.....112
161. هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا.....112
162. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ.....112
163. فَاذْكُرُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ.....114
164. وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ.....114
165. وَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ.....115
166. وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا.....115

167. وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا.....115
168. وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ.....116
169. وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ.....116
170. وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ.....116
171. وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ.....117
172. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ.....118
173. ذَلِكَمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ.....118
174. وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا.....118
175. وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ.....118
176. الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ.....120
177. وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ.....121
178. إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ.....121
179. هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا.....122
180. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ.....122
181. وَلَا تَقْتُلِ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ.....122
182. وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَنَّ.....123

183. ولا تمسكوا بعصم الكوافر.....126، 128، 129
184. فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ.....126، 129
185. لِإِنْ أَشْرَكَتْ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ.....128
186. وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا.....130
187. انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ.....130
188. وتحبون مال حبا جما.....130
189. وإنه لحب الخير لشديد.....130
190. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً.....130
191. وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ.....131
192. الذي يؤتي ماله يتزكى.....131
193. فَإِذَا فُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ.....133
194. هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا.....133
195. وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا.....133
194. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ.....133
195. مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ.....134
196. مَنْ ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ.....134

197. وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ.....135، 138
198. وَالسَّارِقِ وَالسَّارِقَةَ فَاقْتَعُوا أَيْدِيَهُمَا.....135
199. وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا.....136
200. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا.....136
201. أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ.....137
202. وَيُلِّغُ لِلْمُطَفِّينَ.....137
203. وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ.....137
204. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْحُمْرُ.....138
205. إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ.....138
206. إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ.....139
207. وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ.....140
208. يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ.....140
209. وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا.....140
130. كُلُّ مَنْ مَلَ يَتِيمِكَ غَيْرَ مُسْرِفٍ.....140
131. والذين كفروا بعضهم أولياء بعض.....146
132. إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ.....148

2. فهرس الأحاديث

1. أيما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما.....11
2. إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما.....11
3. رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ عَنِ الْمَجْنُونِ الْمَغْلُوبِ عَلَى عَقْلِهِ13
4. إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ14
5. دعانا النبي صلى الله عليه و سلم فبايعناه فقال14
6. أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَصَمٌ لَا يَسْمَعُ شَيْئاً22
7. رفع عن أمتي الخطأ والنسيان22
8. من اجتهد فأخطأ فله أجر22
9. إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان23
10. وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه.....46
11. بني الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله.....46، 50
12. رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ.....47
13. إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ بِصَلَاتِهِ.....47
14. إِنَّ الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ.....47

15. فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم.....48
16. ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار.....49
17. شهر رمضان إلا أن تطوع شيئاً.....50
18. لا هجرة ولكن جهاد ونية.....52
19. اجتنبوا السبع الموبقات.....53
20. وإذا استنفرتم فانفروا.....53
21. المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله.....54
22. لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه.....54
23. ألا إن القوة الرمي.....55
24. أَدُّلِّكَ عَلَى رَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ.....55
25. من بدل دينه فاقتلوه.....55، 91
26. كل بدعة ضلالة و كل ضلالة في النار.....57
27. من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد.....58
28. أَنْ نَبِيَّ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- جَلَدَ فِي الْحَمْرِ بِالْجُرِيدِ.....60
29. وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ.....62
30. من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما.....63

31. جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة.....65
32. لا تجوز شهادة أهل دين على أهل دين آخر.....67
33. جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ.....69
34. لا نكاح إلا بولي وشهيدي عدل.....70
35. ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه.....72
36. على المرء المسلم السمع والطاعة.....75
37. اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد.....75
38. من أطاعني فقد أطاع الله.....75
39. عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك.....76
40. من كره من أميره شيئا فليصبر.....77
41. من خرج من الطاعة وفارق الجماعة.....77
42. مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.....77
43. لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه.....78
44. نفس المؤمن معلقة بدينه.....79
45. أن تجعل لله نداً وهو خلقك.....80
46. أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك.....80

47. الظلم ظلمات يوم القيامة.....87
48. لا يجلب دم امرئ مسلم.....88، 89
49. أكبر الكبائر الإشراف بالله.....88
50. إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام.....88
51. لزوال الدنيا أهون على الله.....88
52. لا أجلس حتى يقتل قضاء الله ورسوله ثلاث مرات.....90
53. من يرد الله به خيراً يفقهه الدين.....98
54. طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ.....98
55. فضل العالم على العابد كفضل القمر.....98
56. من أتى عرافاً فسأله عن شيء.....102
57. الطيرة شرك، الطيرة شرك، ثلاثاً.....102
58. إن الرقي والتمايم والتولة شرك.....102
59. اجْتَنِبُوا الْحَمْرَ فَإِنَّهَا أُمُّ الْخُبَائِثِ.....104
60. كل مسكر خمر وكل مسكر حرام.....104
61. جلد النبي صلى الله عليه و سلم أربعين.....104
62. الإسلام يعلو ولا يعلى.....109

63. يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ.....114
64. إِنَّمَا بَعِثْتُ لَأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ.....116
65. أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا.....117
66. لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَجِبَ لِأَخِيهِ مَا يَجِبُ لِنَفْسِهِ.....117
67. وَالْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ.....117
68. أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نَدَاً وَهُوَ خَلْقُكَ.....119
79. وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ.....119
80. أَنْ تَزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ.....119
81. لَا يَزَانِي الزَّانِي حِينَ يَزِينِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ.....119
82. خَذُوا عَنِّي خَذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهْنِ سَبِيلًا.....120
83. أَطْيَبُ الْكَسْبِ عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ.....133
84. مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ.....133
85. مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ.....134
86. مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا.....134
87. لَا يَزَانِي الزَّانِي حِينَ يَزِينِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ.....135
88. إِنْ دُمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ.....135

89. لعن الله الراشي والمرثشي.....135
90. من غشنا فليس منا.....137
91. لا يحل مال امرء مسلم إلا بطيب نفسه.....138
92. من اقتطع شبرا من الأرض ظلما.....138
93. كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه.....139
94. فأبشروا وأملوا ما يسركم.....140
95. عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي.....143
96. لا يرث كافر مسلما.....146
97. لا يرث المسلم الكافر.....146، 147
98. لا يتوارث أهل ملة شتى.....146، 147
3. فهرس موضوعات البحث.

.....	التمهيد.....
	7
8.....	معنى التكفير.....
9.....	أنواع التكفير.....
11.....	شروط التكفير المعين.....
18.....	موانع التكفير.....

30.....	المقاصد الضرورية الخمسة.....
32.....	معنى المقاصد الضرورية.....
33.....	معنى المقاصد.....
33.....	معنى الضرورة.....
34.....	طريقة المحافظة على المقاصد الضرورية.....
35.....	خطورة التكفير المعين في ميزان المقاصد الضرورية الخمسة.....
35.....	خطورة التكفير المعين في الحفاظ على الدين.....
36.....	تعريف الدين.....
36.....	معنى الدين لغة.....
38.....	معنى الدين اصطلاحاً.....
40.....	العلاقة بين معنى اللغوي والاصطلاحي.....
40.....	طريقة المحافظة على الدين.....
41.....	طريقة المحافظة على الدين من جانب الوجود.....
52.....	طريقة المحافظة على الدين من جانب العدم.....
61.....	تكفير المعين يؤدي إلى إخراج شخص عن دائرة الإسلام.....
63.....	التكفير المعين يفضي إلى عدم قبول الشهادة.....
69.....	التكفير النعين يفضي إلى فقد أهليته للولاية على غيره.....
71.....	المطلب الثالث : التكفير المعين يفضي إلى عدم حل ذكاته.....
75.....	تكفير المعين يفضي إلى عدم السمع والطاعة في المعروف.....
77.....	خطورة تكفير المعين في الحفاظ على النفس.....
78.....	تعريف النفس.....

78.....	معنى النفس لغة.....
79.....	معنى النفس اصطلاحا.....
79.....	طريقة المحافظة على النفس.....
80.....	طريقة المحافظة على النفس من جانب الوجود.....
86.....	طريقة المحافظة على النفس من جانب العدم.....
89.....	تكفير المعين يؤدي إلى استباحة الدماء.....
92.....	خطورة تكفير المعين في الحفاظ على العقل.....
93.....	تعريف العقل.....
93.....	معنى العقل لغة.....
94.....	معنى العقل اصطلاحا.....
95.....	طريقة المحافظة على العقل.....
95.....	أنواع مفسدات العقل.....
97.....	طريقة المحافظة على العقل من جانب الوجود.....
101.....	طريقة المحافظة على العقل من جانب العدم.....
105.....	التكفير المعين من المفسدات العقلية.....
106.....	فكرة التكفير المعين من مفسدات العقل المعنوية.....
109.....	التكفير المعين إنزال الإنسان منزلة البهائم.....
112.....	خطورة تكفير المعين في الحفاظ على النسل.....
113.....	تعريف النسل.....
113.....	معنى النسل لغة.....
114.....	طريقة المحافظة على النسل.....

114.....	طريقة المحافظة على النسل من جانب الوجود.
118.....	طريقة المحافظة على النسل من جانب العدم.
122.....	التكفير المعين يفضي إلى إفساد الحياة الزوجية.
123.....	التكفير المعين يفضي إلى تحريم الزواج بامرأة مسلمة وغيرها وبالعكس.
126.....	التكفير المعين يفضي إلى انفكك العلاقة الزوجية وتحريم رجوع
130.....	خطورة تكفير المعين في الحفاظ على المال.
131.....	تعريف المال.
131.....	معنى المال لغة.
132.....	معنى المال اصطلاحا.
132.....	طريقة المحافظة على المال.
133.....	طريقة المحافظة على المال من جانب الوجود.
134.....	طريقة المحافظة على المال من جانب العدم.
141.....	التكفير المعين يفضي إلى إفساد الحياة المالية.
141.....	تكفير المعين يفضي إلى استباحة الأموال.
144.....	التكفير المعين يمنع من التصرف المالي.
145.....	تكفير المعين يفضي إلى انقطاع التوارث.
138.....	عقوبة قاذف التكفير.
149.....	أهم النتائج
150.....	ثانيا: التوصيات.

الفهارس

151.....فهرس الآيات القرآنية.....

164.....فهرس الأحاديث.....

170.....فهرس موضوعات البحث.....

113 فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

مراجع التفسير

تفسير فتح القدير للشوكاني ط 2 دار الوفاء المنصورة س 1426 ها- 2005 م

تفسير ابن كثير ط 2 مكتبة دار الفيحاء دمشق س 1418 ها- 1998 م

روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن للشيخ محمد علي الصابوني دار الكتب

الإسلامية ط 1 س 1420 ها- 1999 م.

تيسير الكريم الرحمن للعلامة السعدي دار السنة ط 1 س 1425 ها- 2005 م

مراجع الحديث

صحيح البخاري مكتبة الرشد ط 2 س 1327 ها- 2006 م

صحيح مسلم دار الكتب العلمية ط 1 س 1412 ها- 1991 م

الجامع الكبير للترمذي دار الغرب الإسلامي ط 1 س 1996 م

سنن ابن ماجه مكتبة المعارف ط 1 دون السنة

مسند أحمد بيت الأفكار الدولية س 1419ها-1998م

نيل الأوطار للشوكاني دار الحديث س 1426ها- 2005م

مراجع الفقه

شرح الممتع على زاد المستقنع للشيخ ابن العثيمين 15 ط 1 دار ابن الجوزي س 1422
ها

فقه السنة لسيد سابق ط 2 دار الفتح للإعلام العربي س 1419ها- 1999 م

الفقه المقارن 2 جامعة المدينة العالمية

الوجيز في فقه الإمام الشافعي للإمام الغزالي ط 1 شركة دار الأرقام ابن أبي الأرقام س
1418ها- 1997 م.

الحاوي الكبير للماوردي ط 1 دار الكتب العلمية بيروت س 1414ها-1994 م

وانظر الفروع لشمس الدين محمد بن مفلح المقدسي ط 1 مؤسسة الرسالة بيروت
س 1424ها- 2003 م.

الوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز ل د. عبد العظيم بدوي دار بن رجب المنصورة ط 2
س 1421ها- 2001 م

المغني لابن قدامة المقدسي دار عالم الكتب دون الطبع ولا السنة

الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة نحة من العلماء دار أعلام السنة الرياض
صحيح فقه السنة لأبي مالك كمال ابن السيد سالم كتاب الصيام بدون الطبع ولا السنة
والموسوعة الفقهية الميسرة لحسين بن عودة العوايسة كتاب الجهاد دار بن حزم ط 1 س
1429ها- 2008 م

الأحكام السلطانية للماوردي دار الفكر ط 1 س 1380 ها- 1960 م
الروضة الندية لصديق حسن خان مكتبة الكوثر ط 6 س 1424ها- 2003 م
والشرح الصغير لأحمد ابن محمد الصاوي دار المعارف قاهرة بدون الطبع ولا السنة
الدخيرة للقرافي دار الغرب الإسلامي ط 1 1994 م.

أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك لأبي البركات دار المعارف قاهرة بدون الطبع ولا
السنة

البنية في شرح الهداية للعيني دار الفكر بيروت ط 1 س 1400ها- 1980 م.
المبسوط للسرخسي دار المعرفة بيروت بدون الطبع ولا السنة.

بدائع الصناعاتي للكساني دار الحديث ط 2 س 1406 ها- 1986 م.
المدونة الكبرى للإمام مالك ابن أنس الأصبحي رواية الإمام سحنون ابن سعيد التنوخي
عن الإمام عبد الرحمن ابن قاسم درا الكتب العلمية بيروت ط 1 س 1415 ها-
1994 م.

المجموع شرح المهذب لنجيب المطيعي مكتبة الإرشاد جدة بدون الطبع ولا السنة.

حاشية الشيخ البيجري على فتح القريب المجيب شرح متن غاية التقريب ط 1 س 1328 ها- 2007 م.

المستوعب للإمام السامري الحنبلي مكتبة الأسد ط 2 س 1424 ها- 2003 م.

بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن الرشد دار المعارف بيروت ط 6 س 1402 ها- 1982 م.

الكافي لابن القدامة المقدسي هجر للطباعة و النشر التوزيع والإعلان ط 1 س 1418 ها- 1997 م.

كفاية الأختيار في حل غاية الاختصار للششيخ أبي بكر ابن محمد الحسيني دار المعرفة بيروت ط 1 س 1421 ها- 2000 م.

العزير شرح الوجيز للإمام أبي القاسم الرافي دار الكتب العلمية بيروت ط 1 س 1417 ها- 1997 م.

الأطعمة وأحكام الصيد والذبائح ل د صالح ابن فوزان ابن عبد الله الفوزان مكتبة المعارف الرياض ط 1 س 1408 ها- 1988 م.

الروض المربع للحجاوي

الملخص الفقهي للشيخ صالح الفوزان

بدائع الصنائع للكساني الحنفي في دار الكتاب العربي بيروت ط2 س 1394ها-
1974م

البيان لليحيى ابن أبي الخير ابن سالم العمراني دار المنهاج دون الطبع ولا السنة
المعونة على مذهب عالم المدينة محمد عبد الوهاب علي ابن نصر المالكي دار العلمية
بيروت ط1 س 1418ها- 1998م.

النوادر والزيادات للقيرواني دار الغرب الإسلامي ط1 س 1999م.

كشاف القناع للبهوتي وزارة العدل المملكة العربية ط1 س 1429ها-2008م.

العدة شرح العمدة لعبد الرحمن ابن ابراهيم المقدسي المكتبة العصرية س 1417ها-
1997م

مشكلة الإجحاض دراسة طبية فقهية ل د محمد علي البار الدار السعودية ط1 س
1405ها- 1985م

الهداية شرح بداية المبتدئ لشيخ الإسلام برهان الدين أبي بكر الميرغاني إدارة القرآن
العلوم الإسلامية ط1 س 1427ها

الدر المختار شرح تنوير الابصار للعلامة محمد علاء الدين الحصكفي دار الكتب العلمية
ط1 س 1423ها- 2002م

البحر الرائق شرح كنز الدقائق للعلامة زين الدين بن نجيم

المهذب لأبي إسحاق السيرازي الدار الشامية و دار القلم ط 1 س 1412ها-
1992م

التحقيقات المرضية ل د. صالح ابن فوزان ابن عبد الله الفوزان مكتبة المعارف للنشر
والتوزيع ط 4 س 1419ها-1999م

المحلى لابن حزم مكتبة دار التراث س 1426ها-2005م

مراجع أصول الفقه

الوجيز في أصول الفقه د. عبد الكريم زيدان ص 59 ط 15 مؤسسة الرسالة بيروت س
1427 ها- 2006 م.

شرح مختصر الروضة للطوفي ص 430 ج 1 ط 1 مؤسسة الرسالة س 1407 ها-
1987 م

إتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر ل د. عبد الكريم النملة ص 202 ج 2 ط 1
دار العاصمة س 1417 ها- 1996 م

أصول الفقه لأبي زهرة ص 59 دار الفكر العربي بدون الطبع ولا السنة.

الإحكام للآمدي ج 1 ص 171 دار الصمعي ط 1 س 1424 ها- 2003 م.

شرح التلويح على التوضيح للتفتزاني باب العوارض المكتسبة ج 2 دار الكتب العلمية ط
1 بدون السنة.

إرشاد الفحول للشوكاني ج 2 ص 759 دار الفضيلة ط 1 س 1421 ها- 2000

م.

الموافقات للشاطبي كتاب المقاصد ص 297-298 ج 2 دار الحديث القاهرة س
1427ها- 2006م

المستصفي للغزالي ص 286 ج 1 دار الفكر دون الطبع ولا السنة

التخبير شرح التحرير للمردوي باب تعارض الأدلة ص 42429 ج 8 مكتبة الرشد
بدون الطبع ولا السنة

المقاصد العامة للشريعة الإسلامية د يوسف حامد عالم الدار العالمية للكتاب الإسلامي ط
2 س 1415ها- 1994م

العقل دراسة مقاصدية في المحافظة الدكتور حسن سالم مقبل أحمد الدوسي

المقاصد العامة للشريعة الإسلامية لعبد الرحمن عبد الخالق مكتبة الصحوة الإسلامية ط 1
س 1405ها- 1985 م

تقرير القواعد وتحرير الفوائد لابن رجب الحنبلي دار ابن عفان دون الطبع ولا السنة

المعاجم

مصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي أبو العباس

لسان العرب لابن منظور دار صادر بيروت بدون الطبع ولا السنة

المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني مكتبة نزار مصطفى الباز بدون الطبع لا
السنة

معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ل د. محمد عبد الرحمن عبد المنعم دار الفضيلة
بدون الطبع ولا السنة

الكتب الأخرى

عقيدة أهل السنة والجماعة ل د. سعيد بن مسفر بن مفرح القحطاني ص 25 دار طيبة
الخضراء ط 1 س 1422ها-2001 م

شرح العقيدة الطحاوية للإمام ابن هبذ العز ص 245 دار الغد الجديد ط 1 س
1427ها-2006 م

مجموع فتاوى للإمام ابن تيمية ص 487-488 ج 12 مجمع المالك فحد لطباعة
المصحف الشريف س 1425 ها - 2004 م

ضوابط تكفير المعين عند سيخ الإسلام ابن تيمية وابن عبد الوهاب وعلماء الدعوة
الإصلاحية لأبي العلا راشد ابن العلا الراشد مكتبة الرشد الرياض ط 1 س 1427 ها-
2006 م

الإجماع لابن المنذر كتاب المرتد دار عالم الكتب ط 2 س 1424ها-2003 م

قضية التكفير يبين أهل السنة وفرق الضلال لسعيد ابن علي ابن وهف القحطاني ط 2
س 1417 ها-1997 م.

التفسير والمفسرون ل د. محمد حسين الذهبي مكتبة وهبة بدون الطبع ولا السنة.

أسباب النزول لعلي بن أحمد النيسابوري دار التقوى بدون الطبع ولا السنة

تحفة المرید علی جوهره التحدید للبیجوری دار السلام ط 1 س 1422ها- 2002م

عقيدة المؤمن لأبي بكر جابر الجزائري دار الفكر ط 1 س 1995 م

الاعتصام للشاطبي دار بن عفان ط 1 س 1418ها- 1997م

شرح السنة للإمام البرهاري مكتبة دار المنهاج ط 1 س 1426 ها

. الكبائر للذهبي ديناميكا بركة أوتاما جاكرتا دون الطبع ولا السنة

الإرهاب في ميزان الشريعة الدكتور عادل العبد الجبار

